# وصلة الطالب

## لدوام صحبة الصديق والصاحب

تأليف

أحمد بن أحمد بن شهاب الدين الفيومي الغرقاوي المالكي

ت ١٠٦٩هـ - ١٦٥٩م

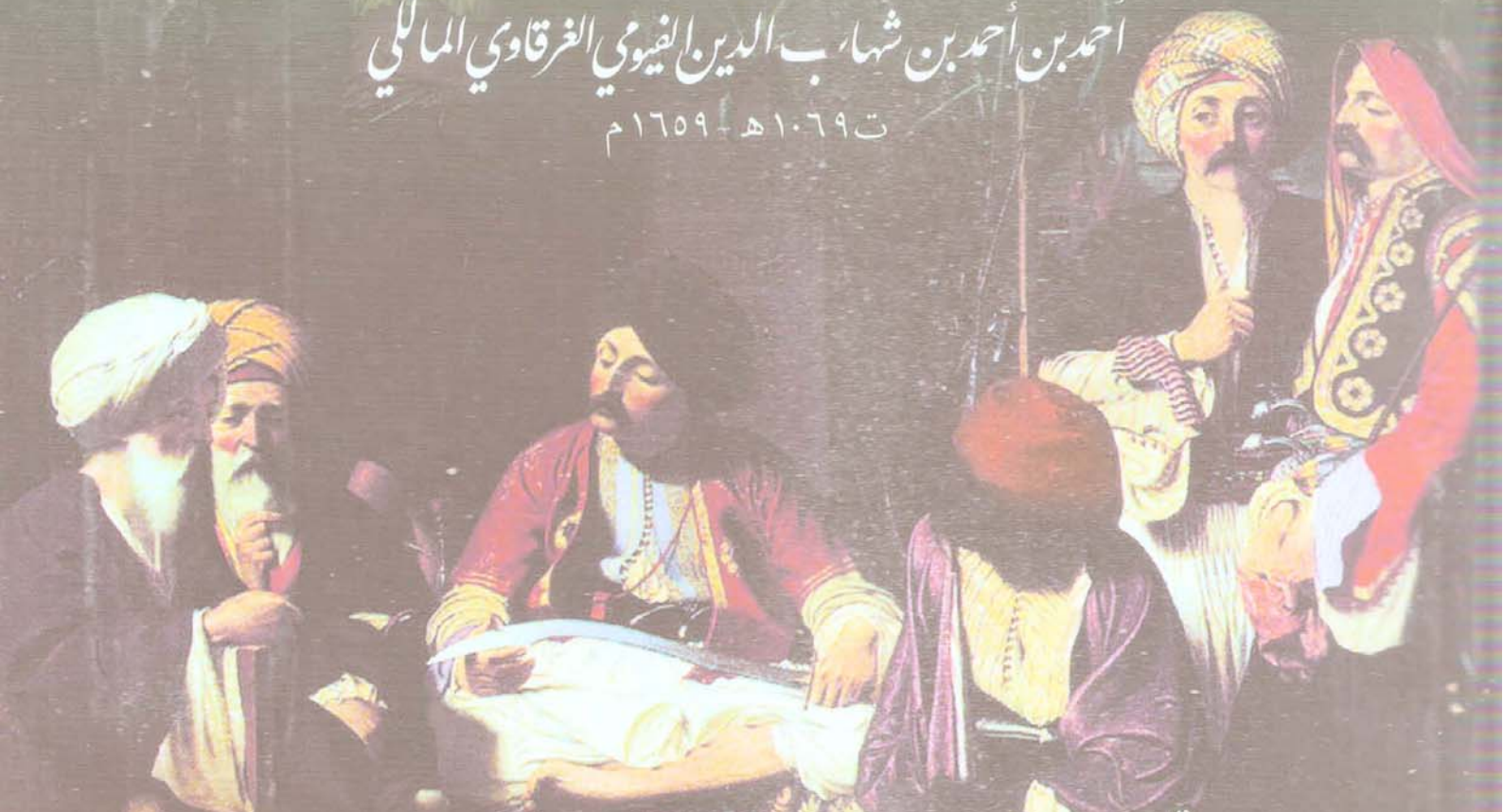

تحقيق

سهام صلاح

دار سعد الدين

للطباعة والنشر والتوزيع

# وصلة الطالب

لدوام صحبة الصديق والصاحب

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

دار سعد الدين

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر.

الطبعة الأولى

1434 هـ - 2013 م

العنوان : وصلة الطالب

لدوام صحبة الصديق والصاحب

تأليف: أحمد بن أحمد بن شهاب الدين الفيومي

تحقيق: سهام صلان

عدد الصفحات: 98

قياس الصفحة: 17 × 24

رقم دولي معياري للكتاب ( ردمك ) :

ISBN 978-9933-473-07-5

دار

سعد الدين

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع 29 أيار - عين الكرش

جادة كرجية حداد - ص.ب 3143

هاتف 2319694 11 963+

فاكس 2326380 11 963+

جوال 484915 944 963+

486016 944 963+

darsaadaldeen@hotmail.com

www.facebook.com/dar.saadaldeen

---

جمهورية مصر العربية

دار العلوم والآداب

للنشر والتوزيع

القاهرة - 8 شارع الجمهورية - عابدين

تلفاكس [illegible]

جوال [illegible] - [illegible] 010

E-[illegible]

# وصلة الطالب

## لدوام صحبة الصديق والصاحب

• تأليف

أحمد بن أحمد بن شهاب الدين الفيومي الغرقاوي المالكي

ت ١٠٦٩هـ - ١٦٥٩م

تحقيق

سهام صلاّن

دار سعد الدين

للطباعة والنشر والتوزيع

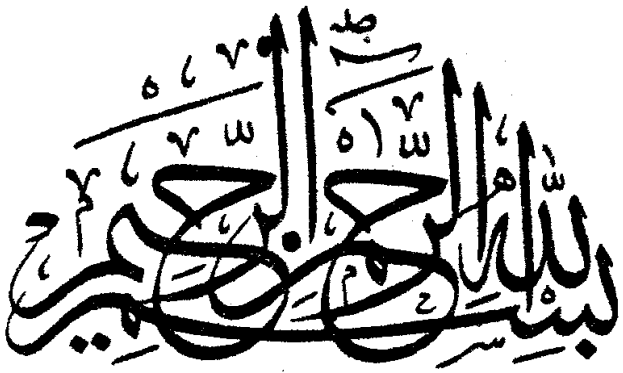
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نِعَمِه الجزيلة وآلائه العميمة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الوسيلة والفضيلة، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فهذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ يأخذك في نزهة ممتعة مفيدة في رحاب الصداقة، وحدائق الصحبة، وينقلك من زهرة فواحة إلى وردة نَضِرة، من آية قرآنية إلى حديث نبوي، ومن قول بليغ إلى شِعْر أثير، يجمعها موضوع الصُحبة وشروطها وآدابها، والنّهي عن سوء الظّنّ بِمَن تصاحبه، وتَحَمُّل أذى الإخوان، وإقالة عثرة الخِلان، وتجاوز هفواتهم، ومن ثَمَ حقوق الأصحاب وما لهم من مطالب.

ودار سعد الدين بدمشق ترجو من خلال نشر (وصلة الطالب لِدَوام صُحبة الصديق والصاحب) أن ينفع الله به جمهور القُرّاء، ويُعيد وشائج الصحبة بين الأصحاب كما كانت إيمانيّة متينة، تقوم على أُسسٍ يُحبُّها الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الناشر

محمد توحيد سعد الدين

# مَنْهَجُ التَّحقيق

أن يشير أي كتاب على أصل وحيد لا يخلو من المزالق، وذلك لما يقع في المخطوط الأصل من سقط أو تحريف لا يمكن تداركه من نُسَخ أُخرى، غير أنَّ ما يُغري أنها نسخة جيدة.

وقد تلخّص منهج عملي بما يلي:

-قراءة المخطوط ونَسْخه وضَبْطه.

-إكمال بعض النقص في العبارات من مصادرها.

-تقويم الأبيات الشعرية وتخريجها من مظانِّها، غير أنّ الكاتب وضع قدراً هائلاً من الشِّعر غير المنسوب إلى أحد مما شكّل صعوبة في تخريجه.

-عَزْو الأقوال إلى أصحابها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

-ترجيع الآيات القرآنية إلى سورها وذِكْر أرقامها.

-تخريج الأحاديث الشريفة من مصادرها.

-ترجمة معظم الأعلام الواردة.

-وأخيراً وضعت هذا الكتاب بين أيدي القُرّاء راجيةً أن ينال الرِّضا والقبول.

# مؤلّف المخطوط

لا نعرف شيئاً عن حياته، وما ورد في الكتب عنه لا يتعدّى اسمه ونسبه وتاريخ وفاته وأبرز مؤلفاته.

## اسمُه:

أحمد بن أحمد بن شهاب الدين الفيومي الغرقاوي المالكي.

توفي سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م

## أهمُّ مؤلفاته:

-حُسْن السلوك في معرفة آداب الملك والملوك.

-القول التامّ في أطوار سيدنا آدم.

-رسالة في إثبات واو الثمانية.

-تلخيص المقالة في ختم الرسالة.

## مصادر ترجمته:

تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٢/ ٣١٨

الخزانة التيمورية: ١/ ٢٠٤

فهرس دار الكتب المصرية: ٨/ ١٦٧

هداية العارفين: ٢/ ٣٦٩

اليواقيت الثمينة للأزهري: ٢٥-٢٦.

# وَصْفُ المخطوط

## وصلة الطَّالب لِدَوام صُحْبةِ الصَّديقِ والصَّاحِب

أحمد بن أحمد بن شهاب الدين الفيومي الغرقاوي المالكي

١٠٦٩ هـ/ ١٦٥٩ م

عدد الأوراق (٦٤) ورقة، رقم المخطوط (٤١٩٠ أدب ٢/ ٣٨٢)، عدد الأسطر في كل صفة (١٧) سطراً، عدد الكلمات نحو (تسع) كلمات.

والنسخة لا بأس بها، وهي بخط المؤلف، مكتوبة بخط النسخ وهو مقروء، ورؤوس الفِقَر بالحُمرة.

عليها تملُّك عبد القادر مكي الطوخي سنة ١٢٥٤هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عمر قلوب انبيائه بلطائف
حكمته ونور افئدة اصفيائه للصفح
عن مشاحنهم وان تمادى على شحنته القائل تعالى
ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما بقدرته
وجمل خلصا حضرته بسوابغ نعمته فاعتصموا
بحبل الله جميعا ولم يتفرقوا بمشيته وامد
اولياءه فوالوا كل صديق لهم واقالوه من عثرته
وحفظهم ان ينطقوا بغير ذكره ويشهدوا غير
حضرته وفتح ابصار بصائرهم الى التخلق باخلاق
كرمه ليصلوا كل قاطع لهم وان بالغ في حسده

وقطيعته وخص من شاء منهم بما يشاء واهله
للدخول الى حضرته فتجلى وتجلى وتجلى
وتجلى فنارت عين بصيرته وامرهم في هذه
الامة المحمدية الطاهرة الزكية بصلح ذات
بينها والتيام شملها وافتراق بينها ثم
حقق ذلك لطفا للامة منه واحسانا بقوله
فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا فسبحان
من اله ستر العيوب وكشف الكروب وغفر
الذنوب والف القلوب على القلوب
وجمع شمل المحب على المحبوب ففاز منه
بالمطلوب فكان ذلك نتيجة قول العلي
الكبير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير والصلاة
والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث
رحمة للعالمين فتراهم اخوانا على سرر
متقابلين المنزل عليه قوله تعالى خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين والتالي
قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس

الصفحة الأولى من المخطوط

قال آمين والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا
لنهتدي لولا أن هدانا الله القوي
المبين تم الصلاة والسلام
على أفضل عبادك وزين عبادك قطب
دائرة الوجود ورسول الملك المعبود
مولانا ومولى الثقلين عبدك ونبيك
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والله
تعالى أعلم وهذا آخر
ما يسر الله تعالى من حمله وكرمه علينا
جمعه وسهل ترتيبه ووضعه على
يد كاتبه وجامعه أفقر العباد وأحوجهم
إلى عفو ربه الغني الجواد أحمد بن أحمد
ابن شهاب الدين الفيومي الشهير
بالعزقاوي المالكي غفر الله له
ولوالديه وأحسن إليهما وإليه
ولمشايخه وأصحابه وذريته وأحبابه
ولمن دعا لهم بالمغفرة ولجميع المسلمين

والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء
منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات
يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا دائما
إلى يوم الدين
والحمد لله
وحده
وصلى الله على
وصلى الله على محمد وسلم
على يد كاتبه محمد بن عبد الوهاب المنوفي

الصفحة الأخيرة من المخطوط

# بسم الله الرَّحْمن الرَّحِيم

[٢/ أ] الحمد لله الذي عمّر قلوبَ أنبيائه بلطائف حِكمتِه، ونوَّر أفئدة أصفيائه للصّفح عن مُشاحنهم[١]، وإنْ تَمادى في شُحنته، القائلُ تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾[٢] بقُدرته[٣]، وجمَّل خلصاءَ حضرته بسوابغ نعمته، فاعتصموا بحبل الله جميعاً، ولم يتفرّقوا بمشيئته، وأمدَّ أولياءه، فوَالوا كلَّ صديق لهم وأقالوه من عثرته[٤]، وحَفِظهم أن يَنْطِقوا بغير ذِكْرِه، ليَصِلوا كُلَّ قاطع لهم وإِنْ بالَغَ في حسده [٢/ ب] وقطيعتِه.

وخَصَّ مَن شاء منهم بما شاؤوا، وأهّلَه لُلدخول في حضرته، فتخلّى وتحلّى وتجلّى وتملّى، فنادت عين بصيرته، وأمرتهم في هذه الأمة المحمدية الطاهرة الزكية بصُلْح ذات بينِها، ثم حقق ذلك لطفاً للأمّة منه وإحساناً بقوله: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[٥]، فيتجاوز مَنْ إليه سَتْرُ العيوب، وكشْفُ الكروبِ، وغَفْرُ الذُّنوبِ، وإلْفةُ القلوب على القلوب، وجمع شملِ المحبِّ على المحبوب، ففاز منه بالمطلوب، فكان ذلك نتيجة قول العليِّ الكبير: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾[٦].

---

(١) المشاحن: المُبغض.

(٢) سورة النساء: ٤/ ٣٥.

(٣) أراد بقدرة الله.

(٤) عثرته: سقطته.

(٥) سورة آل عمران: ٣/ ١٠٣.

(٦) سورة الشورى: ٤٢/ ٢٩.

والصَّلاة والسلام على سيدنا محمد عبدِه ورسوله المبعوثِ رحمةً للعالمين، فَتَراهم إخواناً على سُررٍ متقابلين، المنزَّل عليه قوله تعالى:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1]، والتالي قوله تعالى [٣/ أ]: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2]، والموحى إليه قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾[3]، فبصفات الاجتماع[4] تَحلَّوا، وتخلّقوا عملاً بقول ربهم: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[5]، وعلى آله المؤمنين بالعفو والصفح ابتغاءَ مرضاة الله، والعاملين بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[6]، يرجون بذلك جنَّةَ المأوى، واستبشاراً بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[7]، وأصحابه الذين ما زالوا سالكين مَسْلَكَهُ الأعظم في تحمُّل الأذى والمَشَاقِّ، والتحلِّي بواسع الحِلْم وكريم الأخلاق، والمتمثلين لما في حِكَمِ التنزيل من قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾[8]، فهداهم بفضله لِحُسنِ الظَّنِّ بالعباد، وحماهم من الظُّنون السيِّئة بتنوير الفُؤاد.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وَحْدَهُ لا شريك له، المؤيِّدُ لمن حكى عنه في كلامه [٣/ ب] القديم قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[9]، والآمِرُ لعباده في كتابه القديم بقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ

---

(١) سورة الأعراف: ٧/ ١٩٩.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١٣٤.

(٣) سورة الأعراف: ٧/ ٨٩.

(٤) أراد تحلوا بالأخلاق التي تؤدي للمحبة والصداقة والتجمُّع.

(٥) سورة آل عمران: ٣/ ١٠٣.

(٦) سورة الشورى: ٤٢/ ٤٠.

(٧) سورة البقرة: ٢/ ٢٣٧.

(٨) سورة الحِجْر: ١٥/ ٨٥.

(٩) سورة سبأ: ٣٤/ ٢٦.

رَّحِيمٌ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2]، المُعِزُّ لمن تخلَّق بأخلاق نبيّه في إيصال قاطعِيه، والمذلُّ لمن بالصَّدِّ والقطيعةِ بدأ مُواصلِيه، والمخذلُ لمن بالنميمة مَشَى بين الأصدقاء، فتشتَّت شملُهم بعدما كانوا مُلتمِّين.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي كان يصبرُ على الأذى، ويعفو عن ظالميه، ويُؤْثِرُ على نفسه، ويُعْطي حارميه.

أمَّا بعدُ:

فهذه رسالةٌ [صغيرٌ] حجمُها، عَجِيبٌ نظمُها، رتَّبتُها على مقدمة وثلاثة من الفصول وخاتمةِ خيرٍ يتمُّ بها المأمول.

**فالمقدِّمة** حَوَتْ من المسائل من الفصول ما هو الأَولى أنْ يقال في جوابِ الناقِل.

**والأوّلُ من الفصول:** في النهي [٤/ أ] عن سوء الظنِّ بكلام الله وحديث الرسول لا سيِّما بالأحباب والأصدقاء والأصحاب.

**والثاني:** في تَحَمُّلِ أذى الإخوان اقتداءً بالنبي وأصحابه فيما وقع لهم في ماضي الأزمان وعَمَلاً بالأحاديث الواردة فيه، ونصِّ القرآن، ونبذة في النهي عن الغضب لكونه صفة الشيطان.

**والثالث:** في شيء من آداب الإلفة والصُّحبة والصاحب وما لها من الحقوق والمطالب.

**والخاتمة:** في استعطافات سَجعيَّة وشِعرية ونبذةٍ في العفو عن كُلِّ جَنِيَّةٍ[3]، والنهي عن الحقد، عَصَمَنا الله منه بجاه خير البريَّة، وسَمَّيتها:

**(وَصْلَة الطَّالِبِ لِدَاوامِ صُحْبَةِ الصَّدِيقِ والصَّاحِب)**

فالله أسألُ أنْ ينفعَ بها كما نفع بأصولها، وأن يجعلها وَصْلَة للفوز بنَيْلِ المأرب، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

---

(١) سورة التغابن: ٦٤/ ١٤.

(٢) سورة الأنفال: ٨/ ٣٣.

(٣) جَنِيَّة: ما يجنيه الإنسان من الآثام والأغلاط.

دعاني إليها أمرٌ ذو بال، وكَثْرة هذا من قيل وقال، وخصومةٍ [٤/ ب] انتشرَتْ عَجَاجُ عادياتِ الأفكار فيها، فأضْرَمت حَرَّها، وقد بدا عَدَم انتصارِ حاجزيها حتى أظلمَت وجه الحق الواضح، وأدحضت حُجج الصَّديق اللائج، وأفْشت من المداوة والبغضاء ما يضيقُ عنه رَحْبُ الفضاء، ولا يحْصُره كمٌّ ولا كيفٌ ولا أين، حتى أتعبتْ بوادرها عامَّةَ الثقلين[١]، وأذهبَ صَفَاء القَلْبِ الفائق ضَوْءه على النَّيربين[٢]. فحارت الأفكارُ في التئام خَرْقِها الوسيع، وتاهَتْ العقولُ في سدِّ فَتْقِها الشَّنيع، وكُلَّما حاول إصلاحها أحدٌ لم تَزْدَد إلَّا اتِّساعاً، أو زاول تغييرها امرؤ؛ فلم تنتجْ إلَّا بُعداً وامتناعاً، ولم أجِدْ لي في الورى من نصير، فالحكم لله العلي الكبير، كما قال الشاعر[٣]:

وإنْ تُصِبْكَ من الحوادث نكبةٌ ... فاصبِرْ فكلُّ غَمامةٍ قد تَنْجلي

وقول الآخر[٤]:

إذا ما كنتَ في أمرٍ مُهِمٍّ ... وخِفْتَ من التَّورُّط في المهالك

[٥/ أ] فلا تَجْزَعْ وكنْ جَلْداً صبوراً ... لعلَّ اللَّه يُحدِثُ بعد ذلك

وقول الشَّاعر[٥]:

ليالي وصالٍ قد مَضَيْنَ كأنَّها ... ليالي عُقُود في نُحُورِ الكواعِبِ

وأيامُ هَجْرٍ أعْقَبتها كأنَّها ... بياضُ مشيب في سَواد الذَّوائب

وذلك أنه كان لنا صديقٌ، نِعْمَ المُصاحب والمُسامر والمُجالس والرَّفيق، من أكابر المُدرسين الفِخام، وسلالة الموالي العِظام، وصحبناه دهراً طويلاً في أرغد عيشٍ بُكرةً

---

(١) الثقلان: الإنس والجنّ.

(٢) النيربان: الشَّمس والقمر.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وهي في الأغاني: ٦/ ٧١

وإذا تصبك من الحوادث نكبة ... فاصبر فكلُّ غايةٍ ستكشفُ

وهو في الأغاني: ٦/ ٤٥ بلفظ «فكلُّ مصيبةٍ» منسوبة إلى أعشى همدان.

(٤) لم أقف على هذه الأبيات.

(٥) لم أقف على هذه الأبيات.

وأصيلاً، يستشيرني في أمره ويستودعني خافي سِرِّه، إنْ أمرتُهُ ائتمر، وإن نهيتُه بوَعْظٍ اتّعظ واعتبَر، إنْ غِبتُ تطلَّب[1]، وإن حضرتُ تَرَحَّب، ويتلقّاني تلقِّيَ المحرورِ بَرْدَ النَّسيم، ويقعُ لقائي منه موقع البُرء منه على بَدَن السَّقيم، وكنتُ في النهار جليسَه، وفي الليل أنيسَه، فتسري بيننا مُسامرات ألطفُ من نسمات السَّحر، وتدور بيننا مذاكراتٌ أرقُّ من نغمات الوَتَر، إن حضر صَحِبته، وإن سافر [٥/ ب] رفقتْه، فمكثنا هكذا آمنين نحواً من عشرين سنة، وكنّا في كلّها زائلي الهموم، ملازمين على قراءة العلوم، وكانت لنا مذاكرات بأرقّ معانٍ وألطفِ عبارات، أعزُّ من الصِّدغ المرسل، وأعذب من الرحيق السَّلسل، بل أرقُّ من الشَّمول، وألطف من الشِّمال، وأعذبُ من نغمات الأوتار في ليالِ الوصال، يحقُّ أن تُكتب بالنور على صفحات وَجَنات الحور.

فيا له من اجتماع شملٍ تحلّى جيدُه بقلائد التقوى، وانعقاد جمعٍ كان من المجد في الدَّوحة القصوى، تهبُّ عليهم نسمات الإقبال والقبول، وتَغْشاه نفحات الرِّضى على طبق [السَّؤول][2]، تلألأ فضلُه في أسمى الفضائل، فَعَمَّ سائلُ سُحْبِهِ كلَّ سائل.

فبينما نحن كذلك سالكين أحسنَ المسالك؛ إذ بيننا من أخوة الأدب ما تقصُر عنه أخوة [٦/ أ] النسب، إذ القريب كما قيل: مَنْ تقرّب [لا] من تنسَّب[3]، آمنين في قبول وإقبال حيث يكون، إذ وشى بيننا الواشون، ووسوس إليه من الجنة والناس الموسوسون، فتغيَّر عن حاله وانقلبْ، وصِرتُ أكبر أعدائه من وَلَد العرب.

وكان إذا رآني في طريق أضربَ عني صَفْحاً، أو جرى ذِكري عنده طوى دونَه كَشْحاً[4]، فتكدرَتْ مشاربنا الصافية، وتناقضتْ عُهودنا الوافية، وتشتت شملنا، وتفرّق جمعُنا، وصِرنا كما قال الشاعر[5]:

---

(١) أي طلبني.

(٢) مطموسة في الأصل.

(٣) ورد في ربيع الأبرار ٣٨٣: «الحبيب من تحبب لا من تنسب».

(٤) معجم الأمثال: الباب ١٤.

(٥) لم أقف عليها.

وكنَّـا كالثُّريـا في التَّلاقـي ... زمانـاً آمنـين مـن الفِـراقِ
تفرقنـا كمثـل بنـاتِ نعشٍ ... مُجـازاةً لِكُفـرانِ التَّـلاقِ

وقول الآخر[1]:

وكُنَّـا كغُـصني بانـةٍ لـيسَ واحـدٌ ... يزولُ على الحالاتِ عـن رأي واحـدِ

وتقهقرت منازلنا العالية، ورخصت محبتنا الغالية، وقد كُنَّا نودُّ دوامَ العِشرة والمحبَّة واتصال الإلفة والرّغْبة. وقول بعضهم:

[٦/ ب] كـان الرجـا باقيـاً يُمَنِّينـا ... وعـادَةُ الدَّهـر بالتَّفنيـد تُـدنينا
وعنـدما صـدقَتْ فـيكم محبَّـتُنا ... أضحى الفِراقُ بـديلاً مـن تـدانينا
لـم نَـرْضَ هـذا ولكـنَّ الإلـهَ بـه ... كـوى الفـؤادَ ولا جَفَّـت مآقينـا

وأخلَدَ إلى سماع ما لا ينبغي الإصغاء إليه، وتنزّلَ إلى ما كان غنياً عن التنزُّل إليه، واتّسع الخرقُ على الراقعِ[2]، وكبُر الثَّلم الذي لا تنفعُ فيه شفاعة شافع، ولا دواءٌ نافعٌ حتّى صار إذا أرسلتُ له بالسَّلام كلاماً، كانَ عَناه في الحال كلاماً، أو أردتُ لِصُلحه أتقرب، أبى ونأى وتحجّب، وصار حالَ الذَّاكر[3] معه كما قال الشاعر:

أُناشـده الـرَّحمن في جمـعِ شـملنا ... فيُقسم هـذا لا يكـونُ إلى الحَشْر
إذا مـا غـدا مثـل الحديـدَ فـؤاده ... فوالعصر إنَّ العاشقين لَفِي خُسْرِ

فَعَسُر عليَّ ذلك، وضاقت تجاهي المسالك، إذ تَرْكُ المألوف عسيرٌ، وفراقُ الأحبّة خطير، وكلُّ هذا لا سبب له موجب، حتى على ما ذُكر يُوجب، بل ليس إلَّا كما قال [٧/ أ] الشاعر:

إذا كـان المحبُّ قليـلَ حـظٍّ ... فمـا حَـسَناته إلَّا ذنـوبُ

---

(١) مكارم الأخلاق: ٣٩٥.
(٢) جمهرة الأمثال: ١/ ١٠.
(٣) أراد نفسَه.

وقول الآخر[1]:

أنكـــرتُ معرفتـي بغـير جنّتـي ... مـا ضـــرَّني إلَّا التفاتُـكَ للبـدلْ

هـي فتنـةٌ أَمْ عـينُ حاسـدٍ بيننـا ... أَمْ سـاحرٌ بيني وبينك قـد عملْ

نقـل العَـذُول بـأنَّ قلبي قـد سَـلا ... كَـذَبَ العَـذولُ بقولـه فـيما نَقَـلْ

أنـا مـا سلوتُ ولا هممتُ بسلوةٍ ... لكنَّـه قـــدْ قـال زُوْراً أو خَطَـلْ

وكما قال الشاعر[2]:

أَحَلْتَ دمي من غير جُرْمٍ وحَرَّمـ ... ـتَ بلا سببٍ يـومَ اللقـاءِ كلامـي

فلـيسَ الـــذي حَلَلْتُـــه بمحلَّـــلٍ ... ولـيس الـذي حرَّمتَـــه بِحَـرامِ

وما نقله النَّمام من القول في اختلاف الكلام، فإنه لم يكن مني ذلك، وما سلكت هذه المسالك، وقول الآخر:

لا صحَّ عني ولا كان الـذي نقلـوا ... لكنهم حرّفـوا في القـول وافتعلـوا

وحينئذ توسلت بخالق القوى والقدر، ومانِح النفع والضَّـرر أن يُسهِّل هـذا الأمـر الـصعب، وأن يـضيِّق هـذا الفـضاء الرحـب، وأن يجمـع الشَّـملين [٧/ ب] ويزيـل هـذه الفرقة والبين، فقد شَمِت الأعداء والحاسدون، وفرِح الأسافلُ والمنافقون الـذين هـم من الدين مارقون، وعن الآخـرة غـافلون، وعـن عتـاب الله معرضـون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[3].

فانظروا كما قال الشاعر[4]:

حسدوا الفتى إذ لـم ينـالوا سَـعْيَه ... فالقـــومُ أعـــداءٌ لـــه وخـــصومُ

كضـرائر الـحسناءِ قُلْـنَ لوجهها ... بَغْيـــاً وحَـــسَداً إنَّـــه لَذميـــمُ

---

(١) جواهر البلاغة: ٣٧٠.

(٢) الشاهد للبحتري في ديوانه: ٣/ ٢١٠.

(٣) سورة الشعراء: ٢٦/ ٢٢٧.

(٤) غرر الخصائص: ٤٧٩.

وقول بعضهم[1]:

كُلُّ العداوة إنْ ترجوا إماتتها ... إلَّا عداوة من عاداكَ عن حَسَد

وبالجملة قيل: الحسود والنمام ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾[2]، وإياك والحسدَ لقول الآخر[3]:

دَعِ الحسودَ وما يلقاه من كَمَد ... يَكفيكَ منه لهيبُ النَّارِ في كبده

إنْ لُمْتَ ذا حسدٍ فَرَّجْتَ كُرْبته ... وإن سكتَّ فقد عذّبته بِيَده

وكما قال الشاعر[4]:

اصبرْ على حَسَد الحسودِ ... فإنَّ صبْرَكَ قاتلُهْ

[8/ أ] النار تأكلُ بعضها ... إنْ لم تَجِد ما تأكُلُهْ

ولكن لنا أُسوة بهابيل، فقد حَسَده قابيل وأدَّاه ذلك إلى قَتْلِه، والحاسدُ ممقوتٌ مطرود[5][6]:

قُلْ للحسود إذا تنفّس صعدةً ... يا ظالماً وكأنَّه مظلومُ

فإنهم جُبلوا على محبَّة الفِتَن بين الأكابر والأصاغر، وانبعثوا على إظهار القبائح، وطُبعوا على السعي في إفساد ما بين الأقارب والأصدقاء، وصارت هذه الخصال لهم دَيْدَناً، يتطرقون بها إلى الإفساد تطرُّقاً، فيكدرون صفاء الودِّ والعِشرة والمحبّة، ويُغيرون قِدَم الإلفة والوصلة والرَّغبة، لكن الأعمال كلّها تظهر على عامليها، ويتطرق

---

(١) العقد الفريد: ٢/ ٣٢١ دون نسبة، وفيه: «قد تُرْجى».

والعقد الفريد: ٢/ ١٦٠ منسوباً إلى ابن المبارك.

وديوان الشافعي: ٥٥.

(٢) سورة الأعراف: ٧/ ١٧٦.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) العقد الفريد: ٢/ ١٦٢، وهو منسوب إلى ابن المعتز.

(٥) انظر سورة المائدة: ٥/ ٢٦-٣٠.

(٦) ديوان ابن المعتز: ٣٠٥.

بسعادتها أو شقاوتها سائر فاعِليها، لكنها شقوة ومَذَمّة كما قال الشاعر:

لا يغـــرسُ الـــشَّرَّ غـــارسٌ أبـــداً إلَّا اجتنـــى مـــن غـــصونه نَـــدَما

ومن أسرَّ سَريرة ألْبسه الله رداءها، ومن أضمر [٨/ ب] لأخيه كريهة فعليه ذِمارها ووبالَها[١]، ومن حفر لأخيه المؤمن قُليباً أوقعه الله فيها قريباً[٢].

هذا وتأمل ما رُوي أنَّ إبراهيم الواثق[٣] المتأخر العباسي بن المستمسك بن الحاكم، لما بَغَى على عمِّه سُليمان المستكفي بالله[٤] بن الحاكم، ونَمَّ عليه بالباطل ورَمَاه بما هو بريء منه عند السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون[٥] حتى عزله من الخلافة، وولَّى إبراهيم المذكور؛ قَيَّض الله تعالى العلماء والعامّة، فراجعوا السلطان في إبراهيم هذا، ورَمَوْه بكلِّ سوء وقبيح، وشنّعوا عليه، ولم يُبقوا شيئاً من قبائح الفواحش، وفواحش القبائح إلَّا نسبوه إليه، كلُّ ذلك والسُّلطان مُتمادٍ على غَلَطِه فيه إلى أن حضره الموت، فأوصى الأمراء ووجوه الدولة أن يعزلوا إبراهيم هذا، ويُعيدوا الأمر إلى عَمِّه سُليمان المذكور، ففعلوا، وباء إبراهيم من الله بالمقت [٩/ أ] ومن الناس بالهَوان والشَّناعة، وليس ذلك إلَّا ببغيه على عمّه وتكلّمه فيه بالباطل، وعند السُّلطان بسوء[٦]، وظنَّ ظناً منه أنّ ذلك ينتج له دوام التَّولية للخلافة بالباطل، فكان في ذلك عليه من النّكال ما وصفنا بعضَه.

فإنّ الأفعال الحسنة والسّيئة ناشئةٌ عما تحلّى به قلبُ الإنسان من كمال المعرفة للرحيم الرحمن، وسُوء الجهل به والإعراض عنه في كلِّ وقت وزمان.

---

(١) انظر كشف الخفا: ١/ ٢٩٦.

(٢) انظر كشف الخفا: ٢/ ٣٣٩.

(٣) إبراهيم بن محمد المستمسك بالله بن أحمد العباسي، من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر، لُقِّب بالواثق بالله، توفي ٧٤٢هـ.

(٤) سليمان بن أحمد بن علي الخليفة المستكفي بالله من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر، ساءت أحواله مع السلطان الناصر فنفاه إلى الصعيد، فأقام فيها، توفي ٧٤٠هـ.

(٥) محمد بن قلاوون الملك الناصر. توفي ٧٤٦هـ.

(٦) انظر الخبر في شذرات الذهب: ٣/ ١٧٣، وسير أعلام النبلاء: ١٥/ ١٠٠.

فبادِرْ إلى تصفية قلبك عن كلِّ ما يقطعك عن ربك، واستحضر وقوفك بين يديه، وإنه سائلُك عن كلِّ ما عندك، وانظر لْرأيك دواءً كدواء الشَّاب صاحب الحسن البصري الذي وصفه له طبيبٌ حاذق.

يُروى أنّ الحسن البصري[1] قال: بينما أنا أطوف في أزِقَّة البصرة وأسواقها مع شابٌّ عابدٍ فإذا أتى بطبيب جالس على كرسي وبين يديه رجال وصِبيان ونساء، بين أيديهم قوارير فيها ماءٌ، وكُلُّ واحدٍ [٩/ ب] يستوصف دواءً لدائه، فتقدّم الشَّابُّ إلى الطبيب فقال: أيها الطبيب هل عندك دواءٌ يَغْسِل الذنوب، ويشفي مرضى القلوب؟

قال: نعم. قال: هات.

قال: خذ مني عشرة أشياء، خُذْ عروق شجرة الفقر مع ورق شجرة التواضع، واجعل مع ذلك اهليلج التوبة، واطرحه في هاون الرضى، واسحقه في هاون القناعة واجعله في طنجر التقوى، وصُبَّ عليه من ماء الحياة، واغْلِهِ بنار المحبّة، واجعله في قِدْر الشكر، وروّحه بمروحة الرّجاء، واشربه بمعلقة الحمد، فإنك إن فعلت ذلك فإنه ينفعُك من كلِّ داءٍ ودواء»[2].

إذا عرفت هذا، فكان المطلوب من حضرة مولانا الأناة والتَّثبت في الخبر، والنظر في شأن من نقله، وبه حضر، إن كان على أصله، أو له تقول وابتكر، كيف لا، وقد قيل في تعريف الخبر [١٠/ أ] ما يحتمل الصدق والكذب[3].

كما اشتهر عن سيد ولد عدنان: «العجلة من الشيطان، والأناة من الرحمن»[4].

وأن لا يُبادر إلى الجفاء بالهجر وقِلَّة الوفاء، فقد قال بعضهم: «لا تقطع أخاك على ارتياب، ولا تهجُره دون استعتاب»[5].

---

(١) الحسن بن يسار البصري، تابعي، كان إمام أهل البصرة، حَبْر الأُمّة في زمانه، توفي ١١٠هـ.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) شرح الرضي على الكافية: ١/ ٢٧٣.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة: ١٩٣٥، بلفظ: «الأناة من الله والعجلة من الشيطان».

(٥) العقد الفريد: ٢/ ٣٠٩ منسوباً إلى علي كرم الله وجهه.

و[قال الآخر]: «لا تقطع أخاك إلا بعد العجز عن إصلاحه».

وقال الأحنف بن قيس[1]: «من حَقِّ الصديق أن يُحتمل له ثلاث: ظلمُ الغضب، وظلمُ الزّلّة، وظلم الهفوة»[2].

وقيل لبعض الولاة: «كم لكَ من صديق؟ فقال: لا أدري، الدنيا مقبلةٌ عليَّ، فالناس كلهم أصدقائي، وإنما أعرفهم إذا أدبرت عنِّي»[3].

وأن لا يُصغى إلى كلام كثيرين في أصحابه وأصدقائه، لا سيما مجالسيه، فإن أكثر ما يقعُ بين الأهل والأقارب والأصدقاء بل والأحاديث من الخصومات والهجر والتقاطع والمفاسد القبيحة، وسوء الصنائع إنما ينشأ [١٠/ ب] عن جَهَلَة فَسَقة لا دِين لهم ولا خلاق، يأتون هذا بقولٍ عن الآخر يكدّر عليه، ولا حقَّ لهم في ذلك ولا استحقاق حتى تشتعل بينهم نارُ الفتنة والعداوة والبغضاء.

لكنّ هذا صنيعُ من لم يجعل الله له ديناً ولا عِرضاً، قد غَفِلوا عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى عند لسان كلِّ ناطق وقائل»[4].

فليتقِّ الله عبدٌ، ولينظر ما يقوله قد غفلوا عن قول الملك المجيد: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[5]. والله تعالى أعلم.

---

(١) الأحنف بن قيس بن معاوية، أبو بحر، سيد تميم، أحد العظماء والدهاة، يُضرب المثل بحلمه، توفي ٧٢هـ.

(٢) العقد الفريد: ٢/ ٣١٠.

(٣) العقد الفريد: ٢/ ٣٠٦.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) سورة ق: ٥٠/ ١٨.

# المقدمة الأولى

## (فيما يتعلَّقُ بالمتبلِّغ عن أخيه كلاماً في حقه أن يلتمسه من الكلام)

اعلم وفّقني الله وإياك إلى ما يحبُّه ويرضاه ....[1]

وقد علمت -سيدي- أن العلماء رضي الله عنهم قالوا: ينبغي لمن بلغه عن أخيه شيءٌ من فعلٍ أو قول أنه صدر منه في حقِّه أن يتهم الناقل بقوله: أنت القائل [١١/أ] ويلومه على ذلك فإنه سُنة الأنبياء والمرسلين. ففي حديث أبي الدرداء[2] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَدَّ عن عِرْضِ أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة»[3].

واقتداءً [بالـ]سلف الصالحين والعلماء العاملين المخلصين، فقد قال عمر بن عبد العزيز[4] لمن نَمَّ إليه: «ما أدَّيت حق مجالسة الرجال حين نقلت إلينا حديثه، ولا أديت إليَّ حقي حيث أبلغتني عن أخي، ولكن أُعلمُك أن الموت يَعُمّنا، والقبر يضمُّنا، والقيامة تجمعنا، والله يحكم بيننا وهو خيرُ الحاكمين»[5].

وزار حكيماً أخوه فنمَّ له، فقال له الحكيم: «أبطأت الزيارة، وأتيتني بثلاث

---

(١) لم يكمل العبارة.

(٢) هو عويمر بن عامر الأنصاري صاحب رسول الله وسيد القراء بدمشق، مات قبل مقتل عثمان بثلاث سنين.

(٣) الترمذي، البر والصلة برقم: ١٨٥٤.

(٤) الأموي، خامس الخلفاء الراشدين، من ملوك الدولة المروانية، اشتُهر بالعقل والعدل، قيل: مات مسموماً عام ١٠١هـ.

(٥) جمهرة اللغة: ٢/ برقم: ٣٤١.

جنايات، بغّضت إليَّ أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتّهمت نفسَك الأمينة»[1].

وقد نمّ لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رجلٌ فقال له عمر: إن شئتَ نظرنا في أمرك [١١/ ب] فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[2]، وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴾[3]، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً»[4].

وسَبَق لمثل هذا عليٌّ كرّم الله وجهه فإنه قال لمن نَمَّ إليه: يا هذا نحن نسأل عمّا قلت: فإن كنت صادقاً مَقَتْناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نُقيلَك أقلْناك، فقال: أقِلْني يا أمير المؤمنين[5].

وقد رفع إنسان رقعة إلى بعضهم يحثُّه على أخذ مال اليتيم، وكان مالاً كثيراً، فكتب على ظهرها: النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والساعي لَعَنه الله[6].

فتأمّل مُنْصِفاً مكارم أخلاق [١٢/ أ] هؤلاء السادة، واتخذ سنتهم لك ديناً وعادة، فإن فيه السعادة الأبدية، والنجاة الدنيوية والأخروية، ولا تكن ظنانا تكن آثماً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٞ ﴾[7].

ومما يروى أن ابن السماك[8] دخل ذات يوم على محمد بن سليمان[9] فرآه معرضاً

---

(١) الكبائر للذهبي: ١٥٦.

(٢) سورة الحجرات: ٤٩/ ٦.

(٣) سورة القلم: ٦٨/ ١١.

(٤) الأذكار: ٣٤٨.

(٥) الفصول المهمة في أصول الأئمة: ١/ ٤٩٥.

(٦) المستطرف: ١/ ٨٥.

(٧) سورة الحجرات: ٤٩/ ١٢.

(٨) محمد بن السماك القاصّ، كوفي، مولى بني عجل. التاريخ الكبير: ١/ ١٠٦، برقم: ٣٠١.

(٩) محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أمير البصرة، توفي ١٧٣هـ.

عنه، فقال: ما لي أرى الأمير معرضاً عني[1]؟ فقال: ذاك لشيءٍ بلغني عنك[2]. قال: إذاً لا أبالي. قال: لماذا[3]؟ قال: لأنه إن كان حقاً[4] غفرته، وإن كان باطلاً لم تقبله[5].

وسُعِي بعبد الملك الفارسي[6] إلى المأمون فأحضره ووبخه فقال: يا أمير المؤمنين، إن الذي بلغك عني باطلٌ، ولو كان حقاً لأنذرته به، فأخذت بحظّي مَن الله في الصدق، واتّكلت على حِلْمِ أمير المؤمنين وعفوه. قال: صدقت[7].

كما قال الشاعر[8]:

ليس يخلو المرءُ من ضِدٍّ وإنْ ... حاول العُزلة في رأس الجبل

مِلْ عن النمَّام وازجرْهُ فما ... بلَّغ المكروهَ إلَّا مَنْ نَقَلْ

وقوله[9]:

[١٢/ب] حلفتُ ولم أترك لنفس ريبة ... وليس وراء الله للمرء مطلبُ

لئن كنتَ بُلِّغت عني وشاية ... لمبلغُك الواشي أغشُّ وأكذبُ

وما أحلى كلام الخليل: مَنْ نَمَّ لك نَمَّ عليك، ومن أخبرك يُخبر غيرَك، ومن أخبر غيرَك يخبرك[10].

وقد صَحَّ حديثٌ عنه عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة نَمَّامٌ»[11].

---

١) في العقد الفريد: «كالعاتب عليّ».

٢) في العقد: «كرهته منك».

٣) في العقد: «ولِمَ».

٤) في العقد: «ذنباً».

٥) العقد: ٢/ ٢٠.

٦) عبد الملك بن أبي مروان الكلوذاني الكاتب.

٧) العقد: ٢/ ٢١.

٨) لم أقف عليه.

٩) ديوان النابغة: ١٢ — ١٤.

١٠) آداب العشرة: ٥٢.

١١) مسلم، كتاب الإيمان برقم: ١٥١.

وقول بعضهم: إن صَحَّ ما نقله النَّمام إليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك، والمنقولُ عنه أولى بِحِلْمِك، لأنه لم يقابلْكَ بشَتْمِك[1].

[ويجب عليه أن] ينهاه ويُقبِّح له فعله، ويأمره بالمعروف لقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾[2] وانْهَ عن المنكر، ولا يبغضُه إلَّا في الله، فإنَّ بُغْضَ من يبغضه الله تعالى واجب، ولا يُصدِّقه في كلِّ ما يأتي به، فإنَّ قَصْدَ الفساد الآن بين الناس هو الغالب.

فانتبه وتأمل الإنسانَ الكاملَ، قول ابن مسعود الصحابي[3] [١٣/ أ] الفاضل الذي قال في حقه النبي صلى الله عليه وسلم: «رضي الله لأمتي ما رضي لها ابن أُمِّ عبد»[4]، وأَعْظِمْ بصدقه: «لا يكون أحدكم إِمَّعة، قالوا: وما الإمَّعة؟ -بلفظ فصيح- قال: الذي يجري مع كل ريح»[5]. أي إنه لا رأي له فيتبع كلَّ أحدٍ على ما عَنَّ له.

قيل: وَفَدَ أوس بن حارثة وحاتم بن عبد الله الطيَّان على عمرو بن عبد الله، فدعا عمرو أوساً في السِّر، فقال له: أيّما أفضل أنتَ أم حاتم؟ فقال: أبيتَ اللعن، لو ملكني حاتم وأهلي وولدي لوهبنا في ساعة واحدة. ثم دعا حاتماً في السِّرِّ فقال: أيما أفضل أنت أم أوساً؟ فقال: أبيت اللعن، أيّما فضلت، وذكرت بأوس ولا أحدٌ ولده أفضل مني. فقال عمرو: هذا وأبيك المروءة ومكارم الأخلاق ثم حَبَاهما ووصلهما وسرّحهما.

فينبغي لكلِّ مَن نُقل إليه شيء من ذلك أنْ لا يصدِّقه بمجرده، بل حتى يتثبت؛ لما ورد من أنَّ ذا الوجهين[6] أشدُّ الفَسَقَة والمنافقين [١٣/ ب] وأفسدهم.

---

(١) آداب العشرة: ٥٢.

(٢) سورة الأعراف: ٧/ ١٩٩.

(٣) من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً وقُرباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن السابقين للإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن في مكة. توفي ٣٢هـ.

(٤) مجمع الزوائد: ٩/ ٢٩٠.

(٥) المعجم الكبير للطبراني: ٩/ ١٥٢، برقم: ٨٧٦٥.

(٦) انظر شعب الإيمان برقم: ٤٨٧٩.

وفسَّره العلماء بأنه الذي يتردد بين مُتَعاديين، ويكلِّمُ كُلَّاً بكلامٍ يُوافقه، وقَلَّ من يخلو من ذلك، فمن يتردد بين المتعاديين فإنّ جُلَّ قصدهم ذلك خُذلان المنقول عنه، وهَتْك حُرمته، ولكنَّ لهم ما أُعدَّ لهم من العذاب الشديد، والعقاب المديد ما ورد الوعيد به.

قال النووي[1]: روينا في سنن أبي داود عن جابر بن عبد الله[2] وأبي طلحة[3] رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «ما من امرئٍ يَخْذِله امرؤ مُسْلمٌ في موضع تُنتهك فيه حُرمته، ويُنتقص فيه عِرْضُه إلَّا خذله الله في موطن يحبُّ فيه نُصرته، وما من امرئ يَنْصُر مُسْلِماً في موضع يُنتقص فيه من عرضه، وينتهك فيها من حرمته إلَّا نصره الله في موطن يحبُّ فيه نُصرته»[4].

رُوي عن معاذ بن جبل[5] رضي الله عنه [١٤/ أ] قال: «مَنْ حَمى مؤمناً من منافق آذاه قال: يَبعث الله تعالى ملكاً يحمي جسده يوم القيامة من نار جهنّم، ومن رَمى مسلماً بشيء يريد شَيْنَه به حَبَسه الله عز وجلَّ على جسر جهنّم حتى يخرج»[6].

قال: فينبغي للعاقل دوامُ عدمِ الإصغاء إلى قائل أو واشٍ ينقل عن الصَّديق ما يُوغِرُ القلب، فإن هذا من حِيَل الشيطان وجنده من الإنس.

وقد قيل: إنَّ النَّمام يُفسد في ساعة واحدة ما لا يفسده الساحر في شهر[7]. فإنه يَقِلُّ أن يُرى صديقين في الله تعالى إلَّا وسَعوا بينهما بدقائق المكر والحيل حتى يُوغروا صدر كلِّ واحد منهما على الآخر، ويُوقعوا الفُرقة بينهما، بل يتثبت في ذلك غاية التثبُّت لقوله

---

(١) يحيى بن شرف النووي الشافعي، محي الدين، علّامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في نوا، له كتب كثيرة منها: تهذيب الأسماء. توفي ٦٧٦هـ.

(٢) ابن ثعلب الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي ٧٧هـ.

(٣) زيد بن سهل الخزرجي، من أعيان البدريين، توفي ٣٤هـ.

(٤) أبو داوود، كتاب الأدب برقم: ٤٢٤٠، وأحمد في مسنده برقم: ١٥٧٧٣.

(٥) ابن عمرو بن أوس البدري، ممن اختارهم الصديق لجمع القرآن، توفي ١٧هـ.

(٦) المعجم الكبير: ٢٠/ ١٩٤ برقم: ٤٣٣.

(٧) الآداب للبيهقي برقم: ١٤٣.

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[1].

قالت العلماء: سبب نزولها أنَّ بني المصطلق أسلموا [١٤/ ب] وحَسُن إسلامهم، فأرسل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليدَ بن عتبة بن أبي معيط ليأخذ منهم الزكاة، وكان بينه وبينهم شيء في الجاهلية، فلمّا قَرُبَ من ديارهم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم فجاؤوا يعتذرون، ويَنْفُون كَذِب الوليد عنهم فنزلت الآية مصدِّقة لهم[2].

فتأمل يا سيدي -رزقنا الله وإياك مكارم الأخلاق، وسهَّل لنا ولجميع المسلمين طريق الأرزاق- أنَّ عدم الإصغاء إلى كلام إخوان الرغائب فيه السلامة من شدائد النوائب والأمنُ من المخاوف بسلامة العواقب، والأمنُ من قطيعة الصديق والصاحب.

وعن عبد بن حميد[3] عن الحسن أنَّ رجلاً قال: «يا رسول الله إنَّ بني فلان ارتدّوا [١٥/ أ] وكان في نَفْسِ ذلك الرجل منهم شيء، فأرسل صلى الله عليه وسلّم إليهم جيشاً، وعليه خالد بن الوليد[4] فرأى الخبرُ كَذِباً، فرجع والجيشُ عنهم».

قال الحسن: فوالله لئن كانت نزلت في هؤلاء القوم خاصة، إنها المرسلة إلى يوم القيامة ما نسخها شيء[5].

ورُوي أنَّ خالداً لما رجع، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الخبر كان يقول: «التأنِّي من الله والعجلة من الشيطان»[6]. والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الحجرات: ٤٩/ ٦.

(٢) انظر تفصيل الحادثة في مسند أحمد برقم: ١٧٧٣١.

(٣) عبد بن حميد بن نصر، وقيل عبد الحميد، له تفسير القرآن، من حفّاظ الحديث، توفي ٢٤٩هـ.

(٤) ابن المغيرة، المخزومي، سيف الله والفاتح الكبير، من أشراف قريش، ومن قوادها المشهورين، اسلم قبل الفتح، وهو قائد معركة اليرموك. توفي ٢١هـ.

(٥) الدر المنثور: ٦/ ٨٩.

(٦) سبق تخريجه بلفظ: «الأناة».

# الفَصْل الأوّل

## (في النهي عن سوء الظّن)

اعلم -يا سيدي حمانا الله وإياك من الظَّن السيئ- أنَّ في المبادرة إلى سوء الظنِّ حُرمة وهو منهي عنه في الكتاب والسُّنّة، أمّا الكتابُ فقوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾[1] السَّيئ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

وأمَّا السُّنّة فقوله عليه الصلاة والسلام: «إياكم والظَّنَّ فإنّ الظّنّ [١٥/ب] أكذبُ الحديث، ولا تجسَّسوا ولا تَحْسَسوا ولا تباغضوا وكونوا إخواناً»[2].

وفسَّر العلماء رضي الله عنهم التجسس[3]؛ بالجيم: البحث عن العورات، أي لا تبحثوا عن العورات. والتحبيس[4]؛ بالحاء المهملة: السَّماع لحديث القوم، أي لا تسمعوا لحديث القوم السَّاعين بين الناس بالمفاسد، ولذا ينبغي إذا قال الظّانّ: إني لا أتحقق، قيل له: «ولا تحبسوا» فإنْ قال: تحقَّقْته من غير تحبس، قيل له: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[5].

وقال مصعب بن الزبير[6] رضي الله عنهما: «نحن نرى قبولَ السِّعاية -يعني

---

(١) سورة الحجرات: ٤٩/ ١٢.

(٢) البخاري، كتاب النكاح برقم: ٤٧٤٧، وتمامه: «ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك»، وأخرجه مسلم، كتاب البر والصلة برقم: ٤٦٤٦.

(٣) اللسان: (جسس).

(٤) اللسان: (حبس).

(٥) سورة الحجرات: ٤٩/ ١٢.

(٦) ابن العوام، أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام، قتل المختار الثقفي، توفي مقتولاً سنة ٧١هـ.

بالنميمة- شراً من السِّعاية، أي بها»[1]؛ لأن السِّعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس من دَلَّ على شيء، فأُخبر به كمن قبله وأجازه، فاتقوا الساعي فإن كان في قوله صادقاً كان في صدقه لئيماً حيث لم يحفظ الحرمة، ولم يستر العورة، وإن [كان] كاذباً كان [١٦/ أ] في كذبه آثماً حيث لم يجتنب ما أُمر باجتنابه.

وقال رجلٌ لأمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك[2] وحذَّره قبول النميمة والسّعاية فقال: إنَّه قد اكتنفك رجالٌ باعوا دُنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، وخافوك في الله، ولم يخافوا الله فيك، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، ولا تُصْغِ إليهم فيما اسْتحفظك الله تعالى إياه، فإن غاية قُربهم البغي بالنميمة، وأَجلُّ وسائلهم الغيبة والوقيعة، فأنت مسؤول عما اجترحوا، وليسوا مسؤولين عمّا اجترحتَ، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإنَّ أعظم الناس ذنباً بائعٌ آخرته بدُنيا غيره[3].

وقد فشا في هذا الزمان، فترى الشخص يُسيء الظنَّ بمجرّد رؤيته لشيء رآه أو سمع به أو أُشيع من غير تثبُّت، وما هكذا شأن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم العلماء العاملين [١٦/ ب] والمشايخ الصادقين بل كانوا يُبادرون إلى حُسن الظنِّ بالمسلمين.

وورد حَثُّ صاحب الوصية أسكنه الله الغرف العليَّة على لزوم حُسْنِ الظنِّ بقوله: عليكم أيها الإخوان بحُسن الظَّنِّ بالخلائق[4].

ولذا قال الإمام الشَّافعي[5] رحمه الله تعالى: «من أحبَّ أن يُختم له بخيرٍ فَلْيُحسنِ

---

(١) المستطرف: ١/ ٨٥، منسوباً إلى الفضل بن سهل، والعقد الفريد: ٢/ ٣٣٣ منسوباً إلى ذي الرياستين.

(٢) خليفة أموي، ولي الخلافة بعد أخيه الوليد، أحسن إلى الناس، وأطلق الأسرى، كان فصيحاً عاقلاً، فتحت في عهده جرجان وطبرستان، توفي ٩٩هـ.

(٣) عيون الأخبار: ١/ ٤٢٢.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) محمد بن إدريس الشافعي، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، بزغ في الشعر واللغة وآداب العرب، أفتى وهو ابن عشرين، من تصانيفه: الأم، والرسالة. توفي ٢٠٤هـ.

الظَّنَّ بالناس»[1].

وقال الولي الشيخ أبو محمد اليافعي[2]: «حُسن الظنِّ بالمسلمين فَضْلاً عن الصالحين باب كبيرٌ من أبواب الخير، والنفع في الجلب والدَّفع» يعني جَلْب المحبوبات، ودَفْع المكروهات المذمومات في الحياة والممات.

وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم ينكرون على مَن يبادر إلى سوء الظن، ويرمونه بالمقت، وعَدَم الانتفاع بالعلم والعمل، وكانوا يحبون من يجتمعُ بهم على دوام النظر في محاسن [١٧/ أ] المسلمين، وأن يرجو لهم قبولُ التوبة، ولو فعلوا من المعاصي الإسلامية ما فعلوا، وأن تحملهم في جميع ما يقعون فيه من مظان التُّهم على أحسن المحامل.

واعلم أنَّ سُوء الظَّنِّ مذموم وصاحبه مطرودٌ، وهو ناشئ عن إساءته فعل الظَّن كما قال الشاعر[3]:

إذا ساء فعلُ المرء ساءت ظنونُه ... وصدق ما يعتاده من تَوَهُّم

وعادى مُحبّيه بقول عُداتهم ... وأصبح في ليل من الشَّكِّ مظلمِ

وأخرج ابن مردويه أنه صلى الله عليه وسلّم قال: «من أساء بأخيه الظَّنّ فقد أساء بربِّه[4]، إنّ الله يقول: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾[5].

وأخرج أحمد في الزُّهد عن ابن عمر[6] رضي الله عنه قال: «لا تظنّ بأخيك سوءاً وأنت تَجِدُ له في الخير مَحْمَلاً»[7].

---

(١) المجموع للنووي: ١/ ١٣، قال أصحاب المروءات: من أحبَّ أن يقضي الله له بالخير فليحسنِ الظَّنّ بالناس، وهي في باب نوادر من حِكَم الشافعي.

(٢) عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان عفيف الدين، أبو محمد اليافعي، توفي ٧٦٨هـ.

(٣) يتيمة الدهر: ١/ ٢٦١، منسوباً إلى المتنبي، وديوان المتنبي: ٢/ ٢٠٢.

(٤) الدر المنثور للسيوطي: ٦/ ٩٢.

(٥) سورة الحجرات: ٤٩/ ١٢.

(٦) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، صحابي، كان جريئاً جهيراً، شهد فتح مكة، وأفتى الناس ستين سنة. توفي ٧٣هـ.

(٧) لم أقف عليه.

وأخرج جماعةٌ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في الآية قال: «عَفَى الله المؤمن أن يظنَّ بالمؤمن سُوءاً»[1] أي لأنه كما قال العلماء [١٧/ ب]: غيبة بالقلب، وهي مَنْهيٌ عنها أيضاً مثل القول فكما يحرم أن تُحَدِّث غيرك بمساوئ إنسان يحرم أن تُحَدِّث نفسك بذلك، وتُسيء الظَّنّ، وحقُّك أن لا تحمل فعله على وجهٍ فاسد ما أمكنك وجهٌ حسن، كأن تُشاهد منه نحو سهوة فيه، وحيث كان الفِعْل يحتمل وجهين فالمطلوب حملُه على الحسن، وإدخاله في القبيح ليس إلَّا سوءَ ظَنٍّ واعتقادٍ وهو غير سائغ.

وأخرج الحاكم بسندٍ رجالُه ثقات: «إن الله حرَّم من المؤمن دَمَه ومالَه، وأنْ لا يُظَنَّ به ظَنَّ سوءٌ»[2].

وقال النَّووي نقلاً عن الإمام أبي حامد الغزالي[3] في الإحياء: «إذا وقع في قلبك ظَنُّ السُّوء فهو من وسوسة الشيطان يُلقيه إليك فينبغي أن تُكذِّبه، فإنه أفسقُ الفُسَّاق»[4].

وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[5].

فلا يجوز تصديق إبليس، فإنْ كانت هناك قرينةٌ تدلُّ على فساد، واحتمل خِلافه لم تجز إساءةُ الظَّنِّ، ومن علامة إساءة الظنِّ أن يتغير قلبُك معه عما كان، فتنفر عنه، ويثقله ويفتُر عن مراعاته وإكرامه والاغتمام بسببه، فإن كان الشيطان بعيداً قد يَقْرُب بأدنى خيال مساوئ الناس ويُلقي إليه أنَّ هذا من فِطنتك وذكائك وبسرعة تنبُّهك،

---

(١) العبارة في فتح القدير ٥/ ٦٦: «نهى الله المؤمن أن يظُنّ بالمؤمن سوءاً».

(٢) لم أقف على هذا الحديث بهذا اللفظ، وإنما في مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٤٣٥ برقم: ٢٧٧٥٤: «نظر النبي إلى الكعبة وقال: المسلم أعظم حرمة منك، حرّم الله ماله وحرّم دمه وحرّم عرضه وأذاه، وأن يُظَنّ به ظنّ سوء». وفي شعب الإيمان برقم ٦٧٠٦: «إنّ الله حرّم من المؤمن ثلاثاً: دمَه ومالَه وأنْ يُظنّ به ظنّ السوء».

(٣) محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام والمسلمين وإمام الأئمة. توفي ٥٠٥هـ.

(٤) انظر قول الغزالي في الأذكار النووية: ٣٤٥.

(٥) سبق.

وإنما المؤمن ينظر بنور الله[1]، وإنما هو على التحقيق ناطقٌ بغرور الشَّيطان وظُلمته، وإن أخبرك بذاك عَدْلٌ فلا تصدِّقُه، ولا تُكذِّبه كيلا تُسيء الظَّنَّ بأحدهما، ومهما خطر لك سوءٌ في مسلمٍ فزد في مُراعاته وإكرامه، فإنَّ ذلك يغيظ الشيطان ويرفعه عنه، فلا يُلقي إليك مثله خيفة من اشتغالك [١٨/ ب] بالدُّعاء له.

ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة لا تشكّ فيها فانصحه بالسِّتر، ولا يَخْدَعنك الشيطان فَيَغُرُّك إلى اغتيابه، وإذا وعظته فلا تَعِظه وأنت مسرورٌ باطِّلاعك على [أمره] فينظر إليك بعينِ التعظيم، وتنظر إليه بالاستصغار، ولكن اقصد تخليصه من الإثم وأنت حزين، كما تحزن على نفسك إذا دخلك نقص، وينبغي أن يكون تركه لذلك النقصِ لغير وَعْظِك أحبُّ إليك من تَرْكِه بوعْظِك[2]. قال بعضهم:

إنَّ الـــذي طهّـــر المولـــى ســـريرته ... مِـنْ ظَـنِّ خـير لفـي جنَّـاتِ رُضـوانِ

فَظُـــنَّ بالنَّـــاسِ خـــيراً أجمعـــين ... فقـــد جـاء الوعيـدُ لمُغتـابٍ وَظَنَّـانِ

وكما قال الشاعر[3]:

ذا مـــا شـــئتَ أن تحيـــا ســـعيداً ... مـــن الـــخيراتِ مملـــوءَ اليَـــدينِ

فظُـــنَّ بمعـــشرِ الإســـلام خـــيراً ... وعِـشْ أعمـى وأصـلِحْ ذاتَ بَـيْنِ

## تنبيـــه

لا يُعارض ما ذكرنا من الأحاديث [١٩/ أ] حديثُ: «إنَّ من الحزمِ سوء الظَّن»[4]. وحديث: «احترسوا من الناس بسوء الظَّنّ»[5]؛ لأنَّ هذا يحول على من يتعرَّض للتُّهم.

---

(١) ورد في المعجم الأوسط ٣٢٥٤ عن النبي صلى الله عليه وسلم: «اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله».

(٢) انتهى كلام الغزالي في الأذكار النووية: ٣٤٥ – ٣٤٦.

(٣) هذا البيت بمفرده في العهود المحمدية للشعراني: ٧٥٣ في خبر رجل تزوج على امرأته، ومنها:

تَزَوّجت اثنتين لِفَرْط جهلي ... وقد حاز البِلى زوج اثنتين

(٤) مسند الشهاب: ١/ ٤٨ رقم ٢٤، ونحوه في شعب الإيمان: ٦/ ٣٦٠ برقم: ٨٥٢١.

(٥) المعجم الأوسط: ١/ ١٨٩ برقم ٥٩٨.

ورُوي «أنَّ رجلين رأيا النبي صلى الله عليه وسلَّم يُكلِّم صفية فأسرعا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: على رِسْلِكما إنها صفيَّة، فقالا: يا رسول الله أَوَبِكَ يُظنُّ السُّوء؟ فقال: إني خشيت أن يَقذف الشيطان في قلوبكما شراً فتهلكان»[1]، أي لأنه ورد: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم».

وتأمَّل يا سيدي مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلَّم وخَوفه الهلاك عليهما.

قال سيدي علي الخوَّاص[2]: «إذا رأيتم شخصاً يُسايرُ امرأة في عطفه فاحملوها على أنها من محارمه أو زوجته أو على أنها مما لا يخشى منها الفتنة، وإذا رأيتم امرأة تُشبه بنات الخطأ داخلة بيت أحدٍ من الأكابر فاحملوها على أنها داخلة لعياله لحاجة [١٩/ ب] دينية أو دنيوية؛ لا لذلك الرجل ليفعل بها ما لا يَحِلّ، وإن كان صاحب ذلك البيت عالماً أو صالحاً فاحملوه على أنه أرسل خلفها ليستتوبها عن الفواحش مثلاً».

«وقد وقع كلام في رجل بحضرة الإمام الشافعي رضي الله عنه فقيل: إنه أكولٌ كسولٌ كثير الفضول، فقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: أكولٌ للحلال، كسولٌ عن فعل الشَّر، كثيرُ الفضول أمَّار بالمعروف نَهّاءٌ عن المنكر».

وقال الشيخ الكبير سيدي على الخوصْ رحمه الله تعالى: «إذا رأيتم عالماً أو صالحاً يحضر مواضع المعاصي فاحملوه على أنه حضر العصاةَ ليحوطهم خوفاً أن يقع بهم العذاب، أو على أنه خالطهم ليعظهم ويخوّفهم ونحو ذلك.

ومن كلام سهل بن عبد الله التّستُّري[3]: «أسوأ المعاصي سُوء الظَّن». والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر تخريجه في البخاري، كتاب بدء الخلق برقم: ٣٠٣٩، وكتاب الأحكام برقم: ٦٦٣٦، وفي الباب أحاديث كثيرة.

(٢) من علماء الباطن، سلك طريق التصوف، وكان يُكثر من الصوم ولا يكتسي إلَّا ثياباً بالية، توفي ٩٧٣هـ.

(٣) أحد أئمة الصوفية والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضات، توفي ٥٠٦هـ.

## [٢٠/أ] الفَصْلُ الثاني
## (في تَحَمُّل أذى الإخوان وإقالة عثراتهم والنَّهي عن الغضب بسبب هفواتهم)

اعلم يا أخي جعلنا الله وإيّاك لنعمائه شاكرين، وعلى قضائه وبلائه من الصابرين، أنَّ من أفضل أعمال البرِّ الصبرُ سِيَّما على الأذى، وقد أمر الله تعالى نبيَّه فقال: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[١].

وقال: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[٢].

ومنه الحِلْمُ والصفح، فقد أعطي سليمان عليه السلام فشكر، وابتُلي أيوب فصبر، وقُذف يوسف فَغَفَر، فكُن أيهما شئت.

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾[٣].

وقال علي رضي الله عنه: «وهو الرِّضى بغير عتاب»[٤].

ورُوي عنه صلى الله عليه وسلَّم أنه قال: «إذا اجتمع الخلائق يوم القيامة ينادي منادٍ مَنْ أهل الفضل؟ فيقومُ ناسٌ وهم يسرعون [٢٠/ب] فينطلقون سِراعاً إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون: كُنَّا إذا أُسيء إلينا غفرنا، وإذا جُهِل علينا حَلِمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فَنِعْمَ أجرُ العاملين»[٥].

وأخرج أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال لعُقبة بن عامر[٦]: «يا عقبة ألا أخبرك

---

(١) سورة النحل: ١٦/ ١٢٧.

(٢) سورة الشورى: ٤٢/ ٤٣.

(٣) سورة الحجر: ١٥/ ٨٥.

(٤) ديوان الصبابة: ١٩٨.

(٥) شعب الإيمان: ٦/ ٢٦، برقم: ٨٠٨٦.

(٦) الجهني، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولي إمارة مصر. توفي ٥٨هـ.

بأفضل أخلاق أهل الدنيا وأهل الآخرة: تَصِلُ من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»[1].

وكان الحسن البصري يقول: ما جُرعة أحبُّ إلى الله تعالى من جُرعة مصيبة رَدَّها صاحبها بصَبْر، وجُرعة غَيْظٍ ردَّها صاحبها بحِلْم[2].

وقال معاوية بن أبي سفيان[3]: إني لآنف أن يكون في الدنيا جهلٌ لا يسعه حِلْمي، وذَنبٌ لا يسعُه عفوي، وحاجةٌ لا يسعُها جودي[4].

وقال عبد الملك بن مروان[5]: أفضل الناس مَنْ تواضع [٢١/ أ] عن رفعة، وعَفَا عن قُدرة، وأنصف عن قوة[6].

قال يحيى بن خالد[7]: أقبح الأعمال المقتدرُ يُريد الانتقام.

وقال أفلاطون الحكيم: «الظَّفر شافع المذنبين إلى الكرماء».

وقال إبراهيم بن المهدي[8]: «وليس للقاضي بعد القُدرة عليه ذَنْبٌ، ولا للمعاقب بعد الظفر عُذر». وقال: «إذا حصل عدوُّك في قبضتك فقد خرج من جملة أعدائك، ودخل في عِدَّة حشمك».

وقال ابن المقفع[9] يعتذر من بعض الملوك: «ترفَّع عن ظلمي فإني بريء، وتفضَّل

---

(١) المعجم الأوسط: ٥/ ٣٦٤ برقم: ٥٥٦٧.

(٢) الخبر في الزهد لابن المبارك منسوباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ: «ما من جرعة أحبّ إلى الله من جرعة كظمها رجل أو جُرعة صبر على مصيبة».

(٣) القرشي الأموي، مؤسس الدولة الأموية في الشام، أحد دُهاة العرب، كان فصيحاً حليماً، توفي ٦٠هـ.

(٤) العقد الفريد: ٢/ ١٢٧، وفيه: «إني لأستحي من ربي أن يكون ذنب أعظم من عفوي أو عورة لا أواريها بستري».

(٥) ابن الحكم الأموي القرشي، من أعاظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ في المدينة فقيهاً، واسع العلم، توفي ٧٦هـ.

(٦) انظر تهذيب الكمال: ١٠/ ٤١٠ نحوه.

(٧) يحيى بن خالد البرمكي، أبو الفضل، الوزير سيد آل برمك، مؤدب الرشيد ومعلمه ومربِّيه، نكل الرشيد به مع البرامكة، وألقاه في سجن بالرقة حتى مات سنة ١٩٠هـ.

(٨) ابن عبد الله المنصور العباسي الهاشمي، يقال له ابن شكلة، توفي ٢٢٤هـ.

(٩) عبد الله بن المقفع، من أئمة الكُتّاب، وأول من عُني في الإسلام بترجمة كتب المنطق، اتُّهم بالزندقة، توفي سنة ١٤٢هـ.

عليَّ بالعفو إن كنتُ مجرماً، فوالله إني أطلب العفو من ذنب لم أَجْنِهِ، وألتمس الإقالة من عثرة لم أعرفها»[1].

فتأمَّل يا أخي

وقول الآخر[2]:

ووعَـــدْتني إذا مـــــا ملكـــــتَ صـفحتَ وصَـفْحُ المـالكين حميـدُ

وقيل: «ما عفَا عن الذنب من فَزَّع»[3].

وقيل أيضاً: «الكريم إذا قَدِر عفى، وإذا رأى زَلّةً [٢١/ ب] ستر».

وقالوا: «ليس من عادة الكريم سُرعة الغضب والانتقام».

ورُوي عن الأصمعي[4] أنه قال: «أتى رجلٌ حَيّاً من أحياء العرب لِيُصلح بينهم، قال: يا بني فلان هل لكم في الحق، أو فيما هو خير منه؟

قالوا: وما الذي هو خير من الحق؟ قال: العفو و[التغافل]، فعانق بعضهم بعضاً واصطلحوا»[5].

ولتحمُّله صلى الله عليه وسلم كان لا يغارُ على نفسه.

رَوَتْ عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظُلِمها قطُّ ما لم تكن حُرمة من محارم الله تعالى، وما ضرب بيده شيئاً قطُّ إلّا أن يجاهد في سبيل الله، وما ضرب خادماً ولا امرأة»[6].

---

(١) الغدير: ٣/ ٣٧.

(٢) يتيمة الدهر: ١/ ٦٠، والبيت في ديوان أبي فراس الحمداني، وفيه: «المالكين جميل».

(٣) العقد الفريد: ٢/ ٢٣٦.

(٤) عبد الملك بن قُريب بن أصمع الباهلي، راوية العرب، أحد أئمة العلم باللغة والشعر، كان كثير التطواف في البوادي، توفي ٢١٦هـ.

(٥) المستطرف: ١/ ١٨٢.

(٦) مسند الحميدي: ١/ ١٢٥ برقم: ٢٥٨ بلفظ: «ما لم تنتهك محارم الله فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدّهم في ذلك». وفي صحيح ابن حبان: ١٤/ ٣٥٦ برقم ٦٤٤٤ ورد القسم الثاني بلفظ: «ما ضرب رسول الله صل الله عليه وسلم بيده شيئاً قط إلّا أنْ يجاهد في سبيل الله».

رُوي عن أنس بن مالك[1] رضي الله عنه أنه قال: خدمت النبي صلى الله عليه وسلّم نحواً من عشرين سنة، فوالله ما صَحِبْتُه في سفر ولا حضر، ولا خدمته إلَّا وكانت [٢٢أ] خدمته لي أكثر من خدمتي له، وما قال لي: أُفٍّ قطُّ، ولا لشيءٍ فعلْتُه لِمَ فعلْت كذا، ولا لشيء لم أفعلْه ألَا فعلت كذا»[2]، بل يعفو ويصفح لأنه كان أعرفَ الناس بالله وأخوفَهم منه، ومَن عرف الله حقَّ معرفته لا يشهد فعلاً لغيره، فكيف يغضب وينتقم من الخلق مَنْ يرى الله فعَّالاً فيهم، والأنبياء أسراره ومعادن أنواره فلا يغضبون إلَّا لأجله، وهو الذي يتولّى الانتقام لهم، فتأمّل يا سيدي حُسْنَ خُلقه صلى الله عليه وسلَّم.

فينبغي للعاقل التخلق بأخلاقه الكريمة فيما يُطاق التخلُّق به، وإلَّا فنهايتها لا يصل إليها مخلوق، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3].

وقال صلى الله عليه وسلّم: «إنما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق»[4].

وقال عليه الصلاة والسلام: «أول ما يُوضع في الميزان حُسْنُ الخُلُق»[5].

وقال صلى الله عليه وسلّم [٢٢/ب]: «ما حَسَّن الله خَلْقَ امرئٍ وخُلُقه ليطعمه النار»[6].

وقال الفضيل بن عياض[7]: «يُروى أنه قيل لرسول الله صلى الله وسلم: إنّ فلانة تصوم النهار وتقوم الليل، ولكنها سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها، فقال: لا خير

---

(١) ابن النضر بن ضمضم الأنصاري، آخر من مات بالبصرة من الصحابة، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادمه، رُوي عنه ٢٢٨٦ حديثاً، توفي ٩٣هـ.

(٢) مسند عبد بن حميد: ١/ ٤٠٢ برقم: ١٣٦١.

(٣) سورة القلم: ٦٨/ ٤.

(٤) نوادر الأصول في أحاديث الرسول: ٤/ ٤٣.

(٥) أخرج الترمذي، كتب البر والصلة برقم: ١٩٢٦، عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حُسْن الخُلُق».

(٦) لم أقف عليه.

(٧) شيخ الحرم المكي، من أكابر العُبّاد الصُّلحاء، كان ثقة في لحديث، أخذ عن الشافعي، توفي ١٨٧هـ.

فيها، تلك من أهل النار»[1].

ففي الخبر: «إن حُسن الخُلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد»[2].

ومثله حديث: «إني رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب، فجاء حُسْنُ خُلقه، فأدخله على الله عزّ وجلّ»[3].

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أحبُّ عبادِ الله إلى الله أحسنهم أخلاقاً»[4]، أي مع الخَلْقِ ببذلِ المعروف وكَفِّ الأذى وطلاقة الوجه والتواضع ونحو ذلك.

ثم اعلم أنّ كمال الخُلُق إنما ينشأ من كمال العقل؛ لأنه به الذي تُقتبس [٢٣/أ] الفضائل وتُجتنب الرذائل، والعقلُ لسانُ الروح وترجمان البصيرة فهو جوهر الإنسان.

وفي القاموس كغيره: «إنه نور رُوحاني، به تدرك النفوسُ العلومَ الضرورية والنظرية، وابتداء وجوده عند اجتنان الولد، ثم لا يزال ينمو حتى يكمل عند البلوغ، والله أعلم.

وأما الخُلُق الكريم فهو كيفية نفسانية تصدر عنها الأفعال بسهولة، وجاء بسند جيد: «إنَّ العبد ليبلغ بحُسْن خُلقه درجات الآخرة وشَرَف المنازل، وإن العبد ليبلغ بسوء خُلقه أسفل درجات جهنّم»[5].

ومثلُه: «وسُوء الخُلق يُفسد العمل كما يفسد الخَلُّ العسل».

وصَحَّ خبر: «يا رسول الله، أي المؤمنين أفضلُ إيماناً؟ قال: أحسنهم خُلقاً»[6].

وفي خبرٍ رجالُه ثقات: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فَسَعوهم ببَسْط الوجه وحُسن الخُلق»[7].

---

(١) مسند الإمام أحمد برقم: ٩٢٩٨ بنحوه.

(٢) فيض القدير: ٢/ ٤٤٦.

(٣) نوادر الأصول: ٣/ ٢٤١.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ وإنما حديث: «أي المؤمنين أفضل إيماناً؟ قال: أحسنهم أخلاقاً». مصنف عبد الرزاق: ٣/ ٧٢ برقم: ٤٨٤٣.

(٥) الأحاديث المختارة للمقدسي: ٥/ ١٩١، برقم: ١٨١٢.

(٦) ابن ماجه، كتاب الزهد برقم: ٤٢٤٩ بنحوه.

(٧) الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ٢٢ بنحوه.

[٢٣/ ب] قال صلى الله عليه وسلّم: «أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم، قالوا: وما أبو ضمضم يا رسول الله؟ قال: رجلٌ فيمن كان قبلكم إذا أصبح يقول: اللهم إني أتصدق اليومَ بعفوي على من ظلمني»[١].

وقال بعض العلماء: «الحِلْمُ أرفع من العقل، وقيل له: ولِمَ ذلك؟ قال: لأنّ الله تسمى بالحِلم ولم يتسمّ بالعقل».[٢]

والأحاديث الدّالّة على فضل سعة الخُلق كثيرة شهيرة، فنسأل الله أن يُحسن أخلاقنا ويُيَسِّر أرزاقنا، إنه على ذلك قدير، فينبغي للعاقل أن يُحسِّن أخلاقه، فإنّ له في رسول الله الأسوة والاتباع بالجميل، فمن حُسْنِ أخلاق نبيِّنا صلى الله عليه وسلم أنه لا يزيد مع كثرة المؤذيات إلَّا صبراً، وعلى الأشرار والجُهَّالِ إلَّا حِلْماً وستراً.

ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم لمّا كُسرت رَباعيته وشُجّ وجهه الكريم يوم أُحد [٢٤/ أ] اشتدّ ذلك على أصحابه، فقالوا: لو دعوْتَ عليهم لهلكوا، فقال: «إني لم أُبعث لَعّاناً، ولكن بُعثت داعياً ورحمة، اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[٣].

وقال له عمر: بأبي أنت وأمي يا رسول لله، لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[٤]، ولو دعوتَ علينا لهلكنا على آخرنا، فلقد وُطئ ظهرُك وأُدمي وجهُك، وكُسرت رَباعيتك، فأبيت أن تقول إلَّا خيراً، قلت: اللهم [اغفر] لقومي فإنهم لا يعلمون[٥].

فتأمّل يا أخي وفّقنا الله تعالى وإيّاك لطاعته وسُنّة نبيّه حُسْن خلقه صلى الله عليه وسلّم وكَرَم نَفْسه وغاية صبره وحِلمه إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم أشفق عليهم ورحمهم، ودعا وشفع لهم فقال: «اللهم اغفر واهْدِ»،

---

(١) الإصابة: ٧/ ٢٢٧، برقم: ١٠١٥٦ بتصرُّف.

(٢) شعب الإيمان: ٦/ ٣٤٦، برقم: ٨٤٩٨.

(٣) انفرد مسلم في كتاب البر والصلة برقم: ٤٧٠٤ بلفظ: «إني لم أُبعث لَعّاناً وإنما بُعثت رحمة».

(٤) سورة نوح: ٧١/ ٢٦.

(٥) تفسير القرطبي: ٤/ ٢٠٠.

ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله: «لقومي»، ثم اعتذر عنهم لجهلهم فقال: [٢٤/ب] «فإنهم لا يعلمون».

وكذلك لمّا تصدّى له بعض العرب ليقتله وهو صلى الله عليه وسلم منفرد عن أصحابه تحت شجرة قليلاً[١] وحدَه، فلم يتنبه صلى الله عليه وسلّم إلّا وذاك العربي قائم والسيفُ مسلولٌ في يده، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ يمنعك مني؟ قال صلى الله عليه وسلم: الله، فسقط السيفُ من يده، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: مَنْ يمنعك منّي؟ فقال: كُن خير آخذٍ، فتركه وعفا عنه، فجاء إلى قومه فقال: جِئتكم من عند خير الناس[٢]. اهـ

وانظر يا أخي إلى ما رُوي أنه لما هلك أبو طالب، ونالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تنالُ منه في حياته؛ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى الطائف[٣] وحدَه ماشياً، وحدث أنّ زيدَ بن حارثة[٤] كان معه في ليالٍ [٢٥/أ] من شوال سنة عشر يلتمس النَّصر من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاء به من الله تعالى، فلمّا انتهى إلى الطائف عمد إلى نَفَرٍ من ثقيف، وهم يومئذ سادةُ ثقيف وأشرافهم، وهم إخوةٌ ثلاثةٌ، فجلس إليهم[٥] رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاء به[٦] من نُصرته على الإسلام والقيام[٧] على مَنْ خالفه من قومه، فقال له أحدهم هو يَمْرُط[٨] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال الأخر: ما وَجَدَ الله أحداً يُرسِلُه

---

(١) أراد مدة قليلة.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣/ ٣١.

(٣) الطائف: وادي بني ثقيف بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً. معجم البلدان: ٦/ ١١.

(٤) ابن شراحيل، صحابي مولى خديجة بنت خويلد، زوّجه النبي ابنة عمه، ونزلت في حقه آية: (ادعوهم لآبائهم)، توفي ٨ هـ.

(٥) في السيرة: «فدعاهم إلى الله وكلّمهم».

(٦) في السيرة: «جاءهم».

(٧) في السيرة: «والقيام معه».

(٨) مرط الشعر: نتفه ومزقه. لسان العرب: (مرط).

غيرَك. وقال الثالث: والله لا أُكلِّمك أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأَنْتَ أعظم خَطَراً من أنْ أَرُدَّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذبُ على الله فما ينبغي لي أن أُكلِّمَك.

فقام رسول الله صلى لله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ، وكَرِه رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يبلغ قومه، فقام [٢٥/ ب] بالطائف عشرة أيام، وقيل: عشرة شهور لا يدعُ أحداً من أشرافهم إلَّا جاء إليه وكلَّمه فلم يُجيبوه، وخافوا على أحداثهم منه.

فقالوا: يا محمد اخْرُج من بلدنا، وأغروا به عبيدهم وسُفهاءهم يسبُّونه ويُصيحون به حتى اجتمع عليه الناس.

قال ابن عقبة: وقعدوا له صَفَّين على طريقه، فلمّا مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بين الصّفَّين جعل لا يرفعُ رِجليه ولا يضعها إلَّا رضخوها بالحجارة، حتى أدْمَوا رِجليه[١].

زاد سليمان التيمي[٢] أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أدْمَته الحجارة يقعُد إلى الأرض فيأخذون بعَضديه ويُقيمونه، فإذا مشى رَجَموه، وهم يضحكون[٣].

قال ابن سعد: وزيدُ بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شُجّ في رأسه شِجاجاً[٤].

قال ابن عقبة: فخلص منهم ورجلاه تسيلان دماً فعمد إلى حائط من حوائطهم، فاستظلَّ بظِلِّ حبلة[٥] منه؛ بحاء مهملة وموحّدة [٢٦/ أ] مفتوحتين وربّما سكنت الباء وهو الأصلُ أو القضيب من شجر العنب، وهو مكروبٌ مُوجع[٦].

وروى الطبراني برجال ثقات عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا انصرف عنهم أتى ظلَّ شجرة فصلّى ركعتين ثم قال: «اللهم إني

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٢٨، وعيون الأثر: ١/ ١٣٤.

(٢) قال عنه شعبة: ما رأيت محدِّثاً أفضل من سليمان التيمي، توفي ١٤٣هـ.

(٣) عيون الأثر: ١/ ١٧٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الحبلة: الكَرْم. المعجم الوسيط: ١/ ١٥٣.

(٦) سُبُل الهدى والرشاد: ٢/ ٤٣٨.

أشكو إليك ضعف قوتي وقِلَّة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربُّ المستضعفين، وأنت ربي إلى مَنْ تَكِلني إلى بعيد يتجهمني؛ (أي يلقاني بالغِلظة والوجه الكريه) أو إلى عدوٍّ ملّكته أمري، إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أُبالي، ولكنّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصَلُح عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غَضَبَك، أو تُحِلّ عليَّ سخطُك، لك العُتبى؛ بضم العين أي الرِّضى، حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلَّا بك»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها [٢٦/ ب] «[قالت] للنبي صلى الله عليه وسلّم: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ عليك من يوم أُحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك[2] وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن بابل بن عبد كلال[3]، فلم يُجبني إلى ما أردتُ أحدٌ، فانطلقتُ على وجهي وأنا مهموم فلم أستفق إلَّا وأنا بِقَرْن الثعالب[4]، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني وقال: إنَّ الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث لك ملكَ الجبال فتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد إنّ الله عزّ وجلّ قد سمع قول قومك، وأنا ملك الجبال قد بعثني الله عز وجلّ لتأمرني بما شئت، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين[5].

فقال النبي صلى الله عليه وسلّم: بل أرجو أن يُخرج الله [٢٧/ أ] عز وجلَّ من أصلابهم من يعبد الله عزّ وجلّ، ولا يُشرك به شيئاً». رواه الإمام أحمد والشيخان[6].

---

(١) عيون الأثر: ١/ ١٣٤، وتاريخ الطبري: ٢/ ٣٤٤.

(٢) قال صاحب السيرة الحلبية ١/ ٣٥٧: أي أهل ثقيف، أي كما هو المتبادر، ثم رأيت الحافظ ابن حجر قال: المراد بقوم عائشة في قوله هذا: قريش لا أهل الطائف الذين هم ثقيف، لأنهم كانوا السبب الحامل على ذهابه صلى الله عليه وسلم لثقيف.

(٣) في السيرة: «ابن عبد ياليل»، والأرجح أنه الصواب، والله أعلم.

(٤) قرن الثعالب: ميقات أهل نجد تلقاء مكة. معجم البلدان: ٧/ ٦٥.

(٥) الأخشبان: جبلان يضافان إما إلى منى أو إلى مكة، أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان. معجم البلدان: ١/ ١٥٠.

(٦) البخاري: كتاب بدء الخلق برقم: ٢٩٩٢، ومسلم: كتاب الجهاد والسير برقم: ٣٣٥٢.

وقال عكرمة: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: جاءني جبريل فقال: يا محمّد إنّ ربّك يُقرئك السّلام، وهذا ملك الجبال قد أرسله وأمره أن لا يفعل شيئاً إلّا بأمرك. فقال له ملك الجبال: إن شئت رمهت عليهم الجبال، وإن شئت خسفْتُ بهم الأرض، فقال: يا ملك الجبال فإني آتي بهم لعلهم أن يُخرج منهم ذرية يقولون: لا إله إلّا الله، فقال ملك الجبال: أنتَ كما سمّاك ربك رؤوف رحيم»[1]. رواه ابن أبي حاتم مرسلاً. انتهى المراد منه، قاله الشامي[2] في سيرته.

فَعَلى العاقل أن لا يطيع هوى نفسِه إذا قصروا في حقه وآذوه، بل يقابلهم بغاية النِّعم ونهاية الكرم.

ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: «إن الله رفيقٌ يحبُّ [٢٧/ ب] الرفقاء»[3].

فإذا عاملتهم بذلك وسلكت معهم ألينَ المسالك أذلَّهم الله لك كما أذلّ قريشاً له صلى الله عليه وسلم، وأن يكون لكم في رسول الله الأسوة الحسنة والاتباع الجميل في أوصافه صلى الله عليه وسلم التي يُطلب التخلّق بها، فمنها الحِلم وحُسن الخُلق والأناة.

فمن حِلمه صلى الله عليه وسلّم وسَماحه وعفوه ما قاله أنس رضي الله عنه، وذلك أنه هبط ثمانون رجلاً من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُخذوا وجيء بهم إليه فأعتقهم وعَفَا عنهم[4]، وأقال عثراتهم. وتلطّف بأبي سفيان بعد أن حزَّب عليه الأحزاب، وقاتله حتى قتل عمه وأصحابه، ومثّل بهم، فقال له: ويحك يا أبا سفيان ألم يأْنِ لك أن تعلم أنّ لا إله إلّا الله؟ فقال: بأبي أنت وأُمي ما

---

(١) سبل الهدى والرشاد: ٢/ ٤٤٠.

(٢) محمد بن يوسف بن علي، شمس الدين الشامي، محدّث عالم بالتاريخ من الشافعية، له سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، توفي ٩٤٢هـ.

(٣) البخاري وغيره، كتاب استتابة المرتدين برقم: ٦٤١٥ بلفظ: «ويحب الرفق في الأمر كله».

(٤) الشِّفا: ١/ ١١٠، والتنعيم: اسم جبل قريب من مكة.

أحلمَك؟ [٢٨/ أ] وأوصلك وأكرمك[١].

وتأمل يا أخي ما وقع للصدِّيق رضي الله عنه مع قريبه مسطح[٢] رضي الله عنه كما رواه الشيخان، فإنّ مسطحاً كان من جُملة مَن خاض في الإفك مع كون الصدِّيق رضي الله عنه يقوم به ويُنفق عليه، ولم ينظر لهذا الإحسان الواسع بل مشى مع من مشى في الإفك، ولم يُراعِ حقَّ القرابة ولا حَقَّ إحسان أبي بكر إليه وإنفاقه عليه ورِفْقِه به، ولا فضله الباهر على جميع الصحابة، بل ترك هذه الأمور كلها نسياً منسياً، وخاض في إفك عائشة الطاهرة المنزّهة المبرأة الفاخرة مع من خاض ممن أكثرهم منافقون، ومن الدِّين مارقون، فعند ذلك حَلَف أبو بكر رضي الله عنه أنه ما بقي ينفق على مسطح لما أخطره من كثرة ما فعله معه مسطح مما تحتمله الجِبِلّة البشرية، ومع ذلك كله عتب الله تعالى على الصِّديق رضي الله عنه في مسطح، وأمره بعودة [٢٨/ ب] إلى فضله وإنفاقه عليه، وأشار إلى أنه لا ينبغي لأهل الفضل أن يتركوا فضلهم وصلتهم، وإن فعل معهم من القطيعة وسوء الأدب، والإيذاء القبيح والعيب الصريح ما فعل، فقال عز وجلّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]. ويأتل بمعنى يحلف.

فبالله عليك يا أخي أن تتأمل منصفاً هذه الآية وما اشتملت عليه من مدح الصدِّيق باعتبار تأديبه بهذا التأديب اللطيف، فحين سَمِعَ أبو بكر رضي الله تعالى عنه قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال: بلى أحبُّ أن يغفر الله لي وأعاد إلى مسطح نفقته[٤].

وتأمّل أيضاً منصفاً يا سيدي قوله تعالى: ﴿أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فإن فيه الإشارة إلى أنّ الإنسان من شأنه [٢٩/ أ] أنه طُبع على الذَّنب والجِناية والتقصير المقتضي لطلبه

---

(١) الشفا: ١/ ١١٠.

(٢) ابن أُثاثة بن عباد بن المطلب، أُمُّه ابنة خالة أبي بكر، وممن خاضوا في الإفك، توفي ٣٤هـ.

(٣) سورة النور: ٢٤/ ٢٢.

(٤) الحديث طويل في البخاري، كتاب الشهادات: ٢٤٦٧، كتاب المغازي: ٣٨٢٦.

المغفرة من الله تعالى في كل أحواله، وإن وصل إلى المراتب الرفيعة ما وصل، ومن ثَمّ كان صلى الله عليه وسلم يستغفر في المجلس الواحد مئة مرة، وإذا كان هذا شأن الإنسان فينبغي أن يعامل الناس بما يطلب من الله تعالى.

فكما أنه يجني ويطلب من ربه العفو، فكذلك إذا جنى أو بغى، فينبغي عليه له العفو عن الجاني والباغي ليعفو الله عن جنايته جزاء وفاقاً.

فتأمل هداني الله وإياك إلى أقوم طريق، وسهَّل لنا سُبُل الحق والتصديق ما اشتملت عليه هذه الآية، وقِفْ على امتثال ما فيها من الإشارات وما جرت من لطيف النَّظم والعبارات والأداة التي أشرتُ إلى قليل منها، فإذا فعلت ذلك وسلكت هذه المسالك لم يبق في قلبك أدنى ذرة من حقد لأحد وإن بالغ في إيصال [٢٩/ ب] الإيذاء والقطيعة، فاجتهد ... لذلك واستحضره واعملْ به واعتبره، فإنّ فيه من الخير والشَّرّ والعناية وعُموم النّفع والهداية للغاية شيئاً لا يُحصى وبركة لا تُستقصى.

وينبغي للإنسان أن يزيد في الإحسان إلى مؤذيه ومُباغِضِيه وقاطعيه وحارميه مجاهدة لنفسه، رضاً لربِّه وإرغاماً للشيطان مع جنده وحِزبه، ويكون على قدم هذا القائل كما قال[1]:

يُخاطبني اللئيم بكلِّ قبيحٍ ... فأكرهُ أن أكونَ له مجيبا

يزيدُ سَفاهةً فأزيد حِلماً ... كعُودٍ زاده الإحراقُ طِيبا

وتأمّل أيضاً يا سيدي ما وقع لولي الله والعارف بالله سيدي أحمد الرفاء، إذ هو ذات يوم راكبٌ ومعه جماعة من أكابر أصحابه، إذ لقيه الشيخ السالماباذي وقد كان يَحِطّ على سيدي أحمد وأصحابه فحين رآه سيدي أحمد نزل عن دابته وكشف رأسه [٣٠/ أ] ثم قبّل يد السالماباذي ورِجْلَه وهو راكب، فتلقاه السَّالماباذي بكُلِّ قبيح، وقال أي أعور، أي دَجّال، أي مُستحَلّ الحرام، أي مُبَدل القرآن، أي ملحد حتى قال له الكلب بن الكلب.

وكُلُّ ذلك وسيدي أحمد يقبِّل يده، أي سيدي ارضَ بفضلك عني وأنا خادمك،

---

(١) ديوان الشافعي: ٥٣.

واحلَم ... قال خادم سيدي أحمد: ثم إنَّ سيدي أحمد قبّل رجله وانصرفنا، وكدنا أن نهلك من الغيظ مما فعله معه السالماباذي فالتفت إلينا وقال: ما كان الأخيرُ أخرجَ ما كان عنده من الغيظ، ولو بقي عنده لربما هلك، وربما أثمنا نحن لكوننا كنَّا سبباً له في ذلك، فأرضاه مما كان في صدره من جهتنا والله أعلم.

وهكذا حال الحسن البصري فإنه لم يبلغ أحدٌ من أصحابه من العِلم والعمل والمالِ والجاه وشرف النسب ما بلغه الحسن البصري، ومع ذلك كان يقف الرجل [٣٠/ ب] على رأسه، ويبالغ في سبِّه وعنده جملة من أصحابه، ويقول: يا هذا ادْنُ مني فإذا دنا منه يقول: يا أخي والذي تغطّى عليك من عيوبي أكثرُ مما ظهر لك، إلى غير ذلك مما هو مذكور في طبقاتهم.

وقيل لأبي سفيان بن حرب[1]: «بِمَ نِلْتَ هذا السُّؤدد؟ قال: لم يخاصمني أحدٌ قطُّ إلَّا جعلتُ بيني وبينه للصُّلح موضعاً»[2].

وقيل لأعرابي: مَن تُعُدُّون السَّيد فيكم؟ قال: من غَلَب رأيُه هواه، وسبق غضبَهُ رضاه، وكفَّ عن العشيرة أذاه.

وعن أبي عبيدة أنه قال: الأحنفُ بن قيس: ما تعلمت الحِلمَ إلَّا من قيس بن عاصم المنقري، قيل له: وكيف ذلك يا أبا بحر؟

[قال]: قتل ابن أخٍ له أحد بنيه، فأُتي بالقاتل مكتوفاً يقاد إليه، فقال: ذَعَّرتم الفتى، ثم أقبل عليه، وقال: يا بني بئس ما فعلتَ نفعت عدوَّك، وأوهنت عضُدك، وأشمتّ عدوَّك [٣١/ أ] وأسأت بقومِك. خلُّوا سبيله واحملوا إلى أُمِّ المقتول ديته، فانصرف القاتل، وما حَلَّ قيسٌ حبوته ولا تغيَّر وَجْهه[3].

فتأمل يا سيدي مكارم أخلاق هؤلاء السادة مع الأجانب، فكيف بالصّديق والصاحب.

---

(١) صخر بن حرب بن أُميَّة بن عبد شمس، من سادات قريش في الجاهلية، وهو والد معاوية رأس الدويلة الأموية، أسلم يوم فتح مكة، توفي ٣١هـ.

(٢) شرح أصول الكافي: ٩/ ٣٠٦.

(٣) المستطرف: ١/ ١١٧.

قيل: كان حارثة بن بدر الغداني[1] منهمكاً في الشراب، فَعُوتب زياد بن أبيه[2] في تقريبه فقال: كيف أطرح رجلاً هو يُسايرني منذ وُلّيت العراق فما صدم ركابه ركابي، ولا يُقدمني فنظرت إلى قفاه، ولا تأخّر عنّي فلَوَيْتُ عُنقي إليه، ولا أخذ عليّ الريح في صيف، والشمسَ في شتاء، ولا سألته عن فن من العِلم إلّا حَسِبْتُ أنه لا يُحسنِ غيره[3].

فانظر يا سيدي مكارم أخلاق هؤلاء السَّادة، وما اتخذوه من الحلم والعفو عادة.

وأُحضر إلى الهادي[4] رجلٌ قد أذنب ذنباً فقال له: ألستَ الذي قلت كذا وكذا؟ قال نعم يا أمير المؤمنين [٣١/ ب] أنا ذاك الذي أسرف على نفسه، واتّكل على عفوك، فعفا عنه وخلّى سبيله[5].

فينبغي للعاقل التخلُّق بأخلاقهم الكريمة، وأن يحذو حذو ذوي الطِّباع السليمة، وأن يتخلّى عن كل ما يشينه ويَقْبَل معذرة خليله ومُريده صابراً محتسباً متوكِّلاً مستحضِراً لقوله صلى الله عليه وسلّم: «واعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك راضياً بقضاء الله وقدره»[6].

وبعد أن علمت هذا الدواء وما من النفع لكُلّ داء جرى، فلا عُذر لك في مقاطعة قريب، ولا يقبل منك التعلل بأنّ قريبك أو صديقك يُواصلك بالقطيعة والجفاء والإساءة والأذى؛ لأنه إن فرض منه ذلك فهو أحمق سيّئ الخُلُق، فلا تفعل كفعله فإنك تكون مثله بل الأولى لك يا أخي التجمُّل بأثواب الكمال [٣٢/ أ] وارتداء بُرد العفو

---

(١) حارثة بن بدر الغداني بن حصين، تابعي من أهل البصرة، وقيل: أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، له أخبار في الفتوح، توفي ٦٤هـ.

(٢) زياد بن أبيه: من الدهاة القادة الفاتحين من أهل الطائف، أدرك النبي ولم يرده وأسلم في عهد أبي بكر، توفي ٥٣هـ.

(٣) العقد الفريد: ٢/ ٣٥٥ بتصرُّف.

(٤) الهادي: محمد موسى بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، ولي العهد بعد وفاة أخيه، وأراد خلع أخيه هارون من ولاية العهد وجعلها لابنه جعفر، فلم ترضَ أمُّه، وقيل إنها أمرت الجواري بقتله، توفي ١٧٠هـ.

(٥) مسند الإمام الرضا: ١/ ١١١ منسوباً إلى المأمون.

(٦) أبو داود في السنة برقم: ٤٠٧٧، وابن ماجه في المقدمة: ٧٤.

والكمال، فإن من حقِّ الصديق على صديقه تحمُّل أذاه.

كما قال الشاعر[1]:

تحمّل عظيم الذَّنب ممن تحبُّه ... إذا كان ذو عيب وأنت صحيحُ

صديقٌ بلا عيب قليلٌ وُجوده ... وكشفُ عُيوبِ الأصدقاء قبيحُ

كيف لا والتحمّل يؤدي إلى التجمُّل فلا تُضِع حِلْمَك على عدوِّك فضلاً عن صديقك.

إذا ما طاشَ حِلْمُك من عدوٍّ ... وهانَ عليكَ هجرانُ الصديقِ

فلستَ إذاً أخا عفوٍ وصَفْحٍ ... ولا لأخٍ على عهد وثيقِ

إذا زلَّ الرفيقُ وأنتَ ممن ... بلا رِفق بقيتَ بلا رفيقِ

إذا أنت اتّخذتَ أخاً جديداً ... فما أنكرتَ من خُلقٍ عَتيقِ[2]

والاحتمال نتيجة الكمال:

ولم أرَ في عيوبِ النَّاس عيباً ... كعيبِ القادرين على الكمال[3]

فحيث رزقك الله تعالى فِطنةً وعقلاً في مكارم الأخلاق فلا تضيّع ذلك كله بوقوفك مع نفسِك وحظِّك وهواك وغَرَضك، فمن المطلوب منك أن تقهر نفسَك على التواضع للبعيد [٣٢/ ب] والقريب ما أمكنك، وأن تُوصِل إليه من الخير والتّودد وما يقلب بُغضه محبةً، وعداوته صداقةً ومودّة، فإن أيسْتَ من ذلك كلِّه منه تكون أنت الرابح السالم وإنه الخاسر النادم.

وأزِلْ ما في صدرك لأخيك، وجاهد نفسَك على إخراجه منها ما استطعت وحذِّرها أن تكون أبغض خليقةِ الله إلى الله.

---

(١) الشطر الأول من البيت الأول في ديوان العباس بن الأحنف، وتمامه: «وإنْ كنت مظلوماً فَقُل أنا ظالِمٌ».

(٢) المستطرف: ١/ ١٩٣.

(٣) البيت في ديوان المتنبي: ٣/ ٥٢، ولفظه:

ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً ... كنَقْصِ القادرين على الكمالِ

فـإنّ في قولـه صـلى الله عليـه وسـلّم: «أبغـض خليقـة الله إلى الله الكـذابون والمستكبرون، والذين يكثرون البغضاء لإخوانهم في صدورهم»[1]، فإذا لقوهم تملّقوا لهم، والذين إذا دُعوا إلى الله ورسوله كانوا بُطّاءً، وإذا دُعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعاً وعيداً شديداً، وتحذيراً غليظاً أكيداً.

وإياك يا أخي والغضب فإنه منهي عنه لأنه من الشيطان كما سيأتي في الحديث وهو حركة النفس مَبْدؤها إرادة الانتقام.

قال صلى الله عليه وسلم للذي اختصّ له الوصية [٣٣/ أ]: «لا تغضب»[2].

قال عليه الصلاة والسلام: «إياكم والغضب فإنه جمرة تتوقد في فؤاد ابن آدم، ألم تر إلى أحدهم إذا غضب تحمرُّ عينيه، وتنتفخ أوداجه، فإذا أحسّ أحدكم بشيء من ذلك فليضَّجع أو ليلصق بالأرض»[3].

وأخرج ابن أبي الدنيا: «من بسط رضاه وكفَّ غضبه وبذل معروفه وأدّى أمانته، ووصل رحمه فهو في نور الله الأعظم».

وجاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله عَلِّمني علماً يُقربني من الجنة ويُبعدني من النار. «قال: لا تغضب ولك الجنة»[4].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلق من النار، وإنما يُطفئ النارَ الماءُ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[5].

قال أبو ذر الغفاري[6]: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإذا ذهب عنه الغيظ وإلّا فليضجع»[7].

---

(١) فيض القدير: ٣/ ٣٣٧ بشرحه بتصرُّف.

(٢) البخاري، كتاب الأدب برقم: ٥٦٥١.

(٣) مسند أحمد: ٣/ ٦١، برقم: ١١٦٠٤.

(٤) لم أقف عليه بهذا المتن.

(٥) أبو داود في كتاب الأدب برقم: ٤١٥٢.

(٦) مرت ترجمته.

(٧) أبو داود في كتاب الأدب برقم: ٤١٥١.

وقال [٣٣/ ب] عيسى عليه السلام ليحيى بن زكريا عليه السلام: «إني معلِّمك عِلماً نافعاً فقال: لا تغضب، فقال: وكيف لي بأن لا أغضب؟ قال: إذا قيل لك ما فيك فَقُل: ذَنْبٌ ذكرته، أستغفر الله منه، فإن قيل لك ما ليس فيك، فاحمد الله إذا لم يجعل فيك ما عَيَّرك به وهي حسنة سَبقت إليك».

وقال عمرو بن العاص[١]: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلّم عَمَّا يبعدني من غضب الله تعالى؟ قال: «لا تغضب»[٢].

قال لقمان لابنه: «إذا أردت تُؤاخي أخاً فأغضبه فإن أنفعك وهو مُغْضَبٌ فاتّخذه، وإلَّا فاحذرْه»[٣].

وقال عليه الصلاة والسَّلام: «أقربُ ما يكون العبدُ من غضب الله إذا غَضِب».

قال رضي الله عنه: «مَن لم يملك غَضَبَه لم يملك عقلَه»[٤].

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلّم: «أيُّ شيءٍ أشدُّ [٣٤/ أ]؟ قال: غضبُ الله، قال: فما يبعدني عن غضب الله؟ قال: أن لا تغضب»[٥].

وقال ابن مسعود: «كفى بالمرء إثماً أن يقال له اتَّقِ الله فيغضبُ، ويقول: عليك نفسَك»[٦].

وقال بعضهم:

ليستِ الأحلامُ في حال الرِّضى ... إنما الأحلامُ في حال الغَضِبِ

---

(١) ابن وائل السهمي، فاتح مصر، أحد عظماء العرب ودهاتهم، توفي ٤٣هـ.

(٢) التمهيد لابن عبد البر: ٧/ ٢٥١.

(٣) المستطرف: ١/ ٤١٩ منسوباً للأحنف.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٥، رقم ١٢٩، ص٢٥٦.

(٥) الحديث كره ابن عبد البر في التمهيد: ٧/ ٢٥١ بلفظ: «سألت رسول الله فقلت: يا رسول الله ما يبعدني عن غضب الله؟ قال: لا تغضب».

(٦) المستطرف: ١/ ٨٥.

فإن قيـــل: الغضبُ من الطِّباع البشرية، ولا يمكن الإنسانُ دفعه، فكيف أُمِر باجتنابه.

الجواب: إن معنى «لا تغضب» لا يتَّقد غَضبُك، وليس النهيُ راجعاً إلى نفسِ الغضب. والله أعلم.

# الفَصْلُ الثَّالث

## (في الإلفة والصحبة والصاحب

## وما لهم من الحقوق والمطالب)

اعلم وفَّقني الله وإياك إلى القيام بحقِّ الإخوان ومُوافاة الخِلَّان، أن الصحبة في الله تعالى من أوثق عُرى الإسلام، وشأنُ ذوي الأخلاق الكرام، ومن أكثر أبواب الخير دافعة لكل شرٍّ وخير.

وقد رغب العلماء فيها سلفاً عن سلف وخَلْفاً عن خلف لما فيه من كثرة [٣٤/ ب] المودّة ومزيد الشَّرف، فإن التآلف والتحابب والتوافق بينك وبين أصدقائك وغيرهم أعظم ثمرات حُسن الخُلُق، والتفرق والتقاطع بينك وبين أحد مما ذكر، والتباغض والتحاسُد أقبح ثمرات سُوء الخُلق، ومما وردَ في الثناء على نفس الألفة التي هي وَصْلة الدِّين، وتتقوّى بآيات وأحاديث.

فأمّا الآيات فقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[1]، وقال: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[2].

قالت العلماء: أي متحابين ومبالغين كالإخوان بالحقيقة إذ شأنهم ذلك، فلا يرد من طبع الله على قلبه ممن ساء خلقه.

وقد نهى الله تعالى عن الفرقة فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾

---

(١) سورة الأنفال: ٨/ ٦٣.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١٠٣.

وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ [٣٥/ أ] ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾[2].

وسبب للاعتصام بالله وبضده تحصل النَّفرة.

وأمّا الأحاديث فمنها قوله صلى الله عليه وسلّم: «المؤمن أَلِفٌ مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف»[3].

قال العلماء رضي الله عنهم: المؤمن يألف لحسن أخلاقه وسهولة طِباعه ولِين جانبه، ولا خير فيمن لا يُؤلف لِضعف إيمانه وعُسر أخلاقه وسُوء طِباعه.

وروي [أنَّ] مَن آخى أخاً في الله عز وجلّ رفعه الله بها درجة في الجنّة لا ينالها بشيء من عمله[4].

وروي أن الله يقول يوم القيامة: «أين المتحابون بجلالي، اليوم أُظلُّهم في ظلِّي يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي»[5].

وروي: «المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء»[6].

وروى النسائي في سُننه الكبرى: «إنّ حول العرش منابر من نور عليها قومٌ ثيابهم من نور ووجوههم نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم [٣٥/ ب] النبيون والشهداء. فقالوا: يا رسول الله: صِفْهم لنا. فقال: هم المتحابُّون في الله»[7].

وروي: ما تحابّ اثنان في الله إلَّا كان أحبهما إلى الله أشدهما حُبّاً لصاحبه[8].

---

(١) سورة آل عمران: ٣/ ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١٠٥.

(٣) مسند أحمد برقم: ٨٨٣١، عن أبي هريرة: «المؤمن مُؤَلَّف ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤْلَف».

(٤) فيض القدير: ٥/ ٤١٢.

(٥) مسلم، كتاب البر والصلاة برقم: ٤٦٥٥، وأحمد برقم: ٦٩٣٣.

(٦) الترمذي، كتاب الزهد: ٢٣١٢.

(٧) الترهيب والترغيب: ٢/ ٢٦٢، برقم: ٢٣٢٧.

(٨) صحيح ابن حبان: ٢/ ٣٢٥، برقم: ٥٦٦، بلفظ: «إلَّا كان أفضلهما أشدهما حبّاً». وفي شعب الإيمان:=

وروي: المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غُرفة، يُشرفون على أهل الجنة، يُضيء حُسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، عليهم ثياب من سندس أخضر، مكتوب على وجوههم هؤلاء المتحابون[1].

وروي أن في الجنة أسواقاً لا شراء فيها ولا بيع إلَّا تعارف أهل الجنة بعضهم بعضاً، يقولون: هؤلاء المتحابون في الله[2].

وروي في الأثر عنه عليه السلام: «إن أول من يرد الحوض يوم القيامة المتحابون في الله»[3].

وروى البيهقي في شُعب الإيمان: «رأس العقل بعد الإيمان بالله التَّودد إلى الناس، وأهلُ التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة، ومن [٣٦/ أ] كانت له درجة في الجنة فهو في الجنة»[4].

وروي أيضاً: «رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس، واصطناع الخير إلى كُلِّ بَرٍّ وفاجر»[5].

وروي أيضاً بسند صحيح: «إن المتحابين في الله لترى غُرفُهم في الجنة كالكوكب الطالع الشَّرقي أو الغربي فيقال: مَنْ هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في الله»[6].

وروي أيضاً: «لو أنَّ عبدين تحابا في الله واحدٌ في المشرق والآخر في المغرب لجمع الله بينهما يوم القيامة، ويقول: هذا الذي كنت تحبُّه في الدنيا»[7].

---

=٦/ ٤٩٩ برقم ٩٠٤٨: «إلَّا كان أعظمهما أجراً».

(١) الكامل في ضعفاء الرجال: ٢/ ٢٧٣.

(٢) لم أقف على هذا الحديث بهذا اللفظ.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب: ١/ ٢٧ برقم: ٤٠.

(٤) شعب الإيمان برقم: ٨٠٦١.

(٥) شعب الإيمان برقم: ٩٠٥٤، ولم أقف على الجزء الأخير: «واصطناع الخير...».

(٦) مسند أحمد برقم: ١١٤٠٢.

(٧) كنز العمال برقم: ٢٤٦٤٦.

وروي: «استكثروا من الإخوان فإن لكلِّ مؤمن شفاعة يوم القيامة»[1].

وروي: «نظر الرجلِ لأخيه على شوق خيرٌ من اعتكاف سنة في مسجدي هذا»[2].

وروي: «ما أحدث رجلٌ أخاً في الله إلَّا أحدث الله له درجة في الجنة»[3].

والأخبار في فضل المتحابين في الله والثناء على الإلفة كثيرة جمة شهيرة أكثرُ من أن تُعدَّ وقوعاً، [٣٦/ ب] ومِن أن تُحصر بحدٍّ».

وفي هذا القدر كفاية لمن وفّقه الله تعالى بلُطفه وعنايته، وهداه للفعل الجميل، وأمّا غيره لا يُؤثر فيه فوق ذلك، ولو تلوتَ عليه الإنجيل والتوراة، وإذا أراد الله بعبده خيراً وفَّقه لمصاحبة أهل الدِّين والصلاح ونزّهه عن صحبة أهل الأهواء والبدع والمُخالفين.

وروي: «إن المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[4].

والصُّحبة في اللغة: المعاشرة والملاقاة، قال الله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[5].

وهي على ثلاثة أقسام:

-الأول: صحبة من فوقك وهي في الحقيقة خدمة، وآدابها: ترك الاعتزال، وحَمْلُ ما يعتذر منه على أشد الأحوال.

-والثاني: صحبة من هو دونك، وهي تقضي على المتبوع بالإشفاع، وعلى التابع بالوقار، وآدابها: أن يُنهيه على ما فيه من نقصان من غير تعنيف.

-[٣٧/ أ] الثالث: صُحبة المساوي، وهي صحبة الأكفاء والأقران، وتنبني على القوة والإيثار، وآدابها الالتفات عن عيوبهم وحمل ما صدر منهم على الجميل، فإن لم

---

(١) كشف الخفا: ١/ ٣٨.

(٢) نوادر الأصول في أحاديث الرسول: ٢/ ١٣٩.

(٣) فيض القدير: ٥/ ٤١٢.

(٤) الترمذي، كتاب الزهد برقم: ٢٣٠٠.

(٥) سورة النجم: ٥٣/ ٢.

تجد تأويلاً فاتَّهم نفسك، وإذا صحبت ملكاً فلتكن في صحبته على حذر سالكاً معه غاية الأدب على غاية من رياضة نفس، وجانب من معرفة اصطلاحاتهم، ولا بد لمعاشرهم من آداب.

ولنذكر بعضها لعموم الحاجة إليها، ولا سيما مصاحبة الملوك، فإنها تتأكد لمصاحبهم فرضت فيهم للأكدية فنقول وبالله التوفيق.

قال علقمة بن لبيب العطاوي[1] لابنه: «يا بني إن نزلتْ بك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحبْ من إن صحبته زانك، وإن أصابتك خصاصة عانَك، وإن قُلت سدد قولك، وإن صلت شدد صولك، وإن مددت يدك لفضل مدَّها، وإن بَدت منك ثلمة سدّها، وإن رأى منك [٣٧/ ب] حسنة عدَّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكتَّ عنه ابتداك، وإن نزلت بك إحدى المهمات واساك، مما لا تأتيك عنه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق»[2].

وكان الحسن يقول: «إخواننا أحبُّ إلينا من أهالينا وأولادنا؛ لأن هؤلاء يذكرون الدُّنيا وإخواننا يذكرون الآخرة».

وذكر ابن عباس رضي الله عنهما: «إن أحبّ الناس إليه جليسُه، وإنه لا قُدرة له على مكافأة من تردد إلى مَجْلِسه ثلاثاً من غير حاجة له»، أي: بل لمجرد المحبة والمودّة»[3].

فتأمّل يا سيدي حقَّ الصحبة واحْفظها تَحْظَ بنبيل الطلب، واعلمْ أن الناس إمّا رجل تنفعك صُحبته فاستمسك به أيضاً لعظيم ثوابك في نصحه، والصبر عليه، وإمّا رجلٌ لا تَقْدِرُ أن تنفعه وهو [٣٨/ أ] الأحمق السّيّئُ الخُلُق، فاحترز من مصاحبته فإنها هي السُّم القاتل.

---

(١) في المحاسن والأضداد للجاحظ: ٣٩: «علقمة بن ليث العطاوي».

(٢) الغيث المسجم: ١/ ٣٣٢.

(٣) إحياء علوم الدين: ٥/ ٢٨٠ بلفظ: «ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثاً من غير حاجة تكون له فعلمت ما مكافأته في الدنيا».

وقال الخليل بن أحمد[1]: الرجلُ بلا صديق كاليمين بلا شمال[2].

وقال المأمون: الإخوان على ثلاث طبقات: طبقة كالغذاء لا يُستغنى عنه، وطبقة كالدَّواء لا يُستغنى في الأحايين، وطبقة كالدّاء لا يُحتاج إليه أبداً[3].

ومنها: تأويل عيوبه ما استطعت كما قال[4]:

وعين الرِّضا عن كُلِّ عيبٍ كليلةٌ ... كما أنّ عينَ السُّخط تُبدي المساويا

وقال بعض الأئمة: المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثرات إخوانه[5].

وقال: إذا زَلّ أخوك فاطلُب له سبعين عُذراً، ثم بعد السبعين قل: لعل له عُذراً ولا أعرفه[6].

ومنها غَضُّ بصره عن عيوبه، والصفح عن عثراته، وترك ما يبني عليه وعدم الالتفات إليها والله، أعلم.

وقول بعضهم[7]:

[٣٨/ ب]ومن لم يغضَّ العينَ عن صديقه ... وعن بعضِ ما فيه يَمُت وهو عائبُ

ومن يتتبع جاهداً كلَّ عثرةٍ ... يَجِدْها فلم يَسلم له الدهرَ صاحبُ

كما قال الشاعر[8]:

---

(١) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، له كتاب العين، توفي ١٧٠ هـ.

(٢) غرر الخصائص: ٤٢٥ بلا نسبة، بلفظ: «رجل بلا أخ».

(٣) محاضرات الأدباء: ١/ ٨٢.

(٤) ديوان الشَّافعي.

(٥) آداب العشرة: ١٤. وفي المخلاة: «كن كالمؤمن يطلب المعاذير ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب».

(٦) آداب العشرة: ١٤.

(٧) آداب العشرة: ٢٦ منسوباً إلى أحمد بن عبيد، وفيه: «ومن لم يغمض».

(٨) آداب العشرة: ٢٧.

أُغمضُ عيني عن صديقي تعمُّداً كأني بما يأتي من الأمر جاهِلُ
وما بي جَهْلٌ غيرَ أنَّ خليقتي تطيقُ احتمالَ الكُره فيما تُحاولُ

وقال بعضهم: «من تناسى مَساوئَ إخوانه دام له وِدُّهم»[1]، ومن ثَمَّ قيل[2]:

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلمه على شَعَثٍ أيُّ الرجال المهذَّبُ

ومنها: موافقته فيما أُبيح، ومخالفته فيما حُظر، وحمدُه إن أحسن نيته، وإن لم يُساعده عمله، ففي الحديث: «نيَّة المؤمن خيرٌ من عمله»[3].

وقال علي كرّم الله وجهه: «مَنْ لم يحمل أخاه على صدق النيَّة لم تحمده على حُسن الصحبة»[4].

ومنها: أنْ لا يَمَلّ أُخوته وصداقته، فقد قيل لبعض الملوك: ليس للملوك صديق، ولا لحسود غِنى، والنظر في العواقب تلقيح [٣٩/ أ] للعقول.

ومنها: الإغضاء عنه في بعض المكاره، كما قال الشاعر[5]:

صبرْتُ على بعض الأذى خوفَ كُلِّه فأوقعته نفسي بنفسي ففَرَّتِ
وجرَّعتها المكروهَ حتى تجرّعت ولو جُملة جَرَّعتها لاشمأزَّتِ
فيا رُبَّ عزٍّ ساقَ للنفس ذِلَّة ويا رُبَّ نفسٍ بالتَّذلل عَزَّتِ

ومنها: أنْ لا تستخفَّ به بل تكرمه على ما يليق به، فقد ورد أنَّ من استخفَّ بالإخوان ذهبت مروءته[6].

ومنها: إذا ظفرتَ بأخٍ أو صديق فاحذَرْ أنْ تُضيّعه، فإنّ الأُخوة والصداقة عزيزة،

---

(١) آداب العشرة: ١٦ منسوباً إلى ابن الأعرابي.
(٢) البيت للنابغة: ٧٨.
(٣) المعجم الكبير: ٦/ ١٨٥، برقم: ٥٩٤٢.
(٤) تنبيه الغافلين: ٦٧.
(٥) آداب الصحبة: ٢٧.
(٦) آداب العشرة: ٢٩ منسوباً إلى ابن المبارك.

ولذا قال داود لابنه: «يا بني لا تستكثرنَّ ألفَ صديق، ولا تستقلَّنَّ عدواً واحداً»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المرء كثيرٌ بإخوانه»[2].

ومنها: صِدْقُ المحبَّة.

ومنه: تَرْكُ العِتاب، ولذا سُئل ذو النُّون المصري رضي الله عنه عن المحبَّة؟ فقال: هي خَلْعُ النِّقاب وتَرْكُ العِتاب.

وكذا قال أفلاطون الحكيم: تَقْريع الرَّجل بالذَّنب [٣٩/ ب] بعد العفو عنه.

وقول الآخر[3]:

إذا كنـــتَ في كُـلِّ الأمـور معـــاتباً صـــديقَكَ لـم تَلْـقَ الـــذي لا تعاتبُـه

وقال شبيب بن شيبة[4]: خيرُ ما اكتسب الإنسان إخوانه الصِّدق؛ لأنهم زينة في الرَّخاء، وعِدَّةٌ عند البلاء، ومَعونةٌ على الدهر، وشُركاءُ في الخير والشَّرّ[5].

وقال آخر: وَطِّن نفسَك على أنه لا سبيل لك على قطيعة أخيك، وإنْ ظهر لك منه بعضُ ما تكره، فليس الصَّديق كالمرأة التي تُطلِّقُها متى شئت، ولكنه عرضُك ومُروءتك.

وقال لقمان لابنه: «يا بني أول شيء تكتسبه بعد الإسلام خليلٌ صالح، فإنما مثل الخليل الصالح كمثل النخلة، إن قعدت في ظلها أظلّتك، وإن احتطبت من حطبها نفعتك، وإن صنعت ليفها وخُوصك أقام أوَدَك، وإن أكلتَ ثمرها وجدته طيباً.

وقال [٤٠/ أ] الحكيم: متوحِّشٌ من لا أخ له ولا صديق، وفَرَّط من وَجَد واحداً منهم وضيَّعه بعد أن وَجَدَه ولوجَدَ أنَّ الكبريت الأحمر لأكثرُ من وُجدان صديق أو أخٍ مُوافٍ.

---

(١) العقد الفريد: ٢/ ١٤٩ وفيه: «... ولا تستبدل بأخ قديم أخاً مستحدثاً».

(٢) مسند الشهاب: ١/ ١٤١ رقم ١٨٦ بلفظ: «بأخيه».

(٣) ديوان بشار بن بُرد: ٢٥٦.

(٤) أبو معمر أديب الملوك وجليس الفقراء، كان شريفاً، من الدهاة، نادَمَ خلفاء بني أُمية، توفي ١٧٠هـ.

(٥) العقد الفريد: ٢/ ١٥٠، وفيه: «إخوان الصفا خيرٌ من مكاسب الدنيا...».

كما قال الشَّاعر[1]:

صاد الصَّديق وكافُ الكيما سيما ... لا يُوجدان فدع عن نفسك الطَّمعا

وقيل أيضاً: أعجزُ النَّاس المفرطُ في طلبِ الإخوان، وأعزُّ الأشياء أخٌ يُوثقُ بعقده.

فما كُلُّ من أقراك السَّلام رفيقُ ... ولا كُلُّ من ألانَ الكلامَ صديقُ

وقولُ الآخر:

خليلي خليلي دونَ رَيب ورُبما ... ألانَ امرؤٌ قولاً فَظُنَّ خليلُ

قال حكيم: وإني لفي طلبهم منذ خمسين سنة، فما ظَفِرتُ إلَّا بنصف أخٍ فتمرّد عليَّ وانقلبَ فتأمّل يا سيدي عزّة الصديق وغُلو الرفيق في الزمن المتقدِّم، فإننا قد اتخذناكم ذَخيرة وعُدة ورخاء لكُلِّ هولٍ وشدة فيحملنا ذلك ويدخلنا فيما سلكه الشاعر من المسالك كما قال الشاعر[2]:

[٤٠/ب] وإخواناً حسبتهم دُرُوعاً ... فكانوها ولكن للأعادي

وخِلتُهم سِهاماً صائبات ... فكانوها ولكن في فؤادي

وقالوا: قد صفتْ منا قلوب ... لقد صدقوا ولكن من ودادي

وقالوا: قد سعينا كلَّ سَعي ... لقد صدقوا ولكن في فسادي

وقول الآخر[3]:

اتخذتكموا درعاً حصيناً لترفعوا ... سِهامَ العِدا عني فكُنتم نِصالَها

وقد كنت أرجو منكم خير ناصرٍ ... على حين خُذلان اليمين شِمالها

فإن أنتم لم تحفظوا لمودتي ... زِماماً فكونوا لا عليها ولا لها

---

(١) الشهاب الثاقب: ٢٥ وبعده:

وقد تحدث قوم باجتماعهما ... وما أظنُّهما كانا ولا اجتمعا

(٢) الغيث المسجم: ١/ ٣٣٠ وفيه: «إخواناً تخذتهم».

وهو في خزانة الأدب: ١/ ١٤٦ خلا البيت الرابع

(٣) الغيث المسجم: ١/ ٣٣١، وفي البيت الثالث: «فإن كنتم». وفي الرابع: «وخلوا نبالي للعدى ونبالها».

قِفُوا وَقْفَةَ المعذور عني بمعزلٍ وخَلُّوا العِدا ترمي عليَّ نِبالَها

ومنها تركُ التكبُّر عليه.

فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرى لنفسه مزية على أصحابه.

ويُروى أنه صلى الله عليه وسلم كان في بعض أسفاره، فأمر بإصلاح ذبيحة، قال رجل: يا رسول الله عليّ ذَبْحها، وقال الآخر: عليَّ سَلْخُها، وقال آخر: عليَّ طبخُها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: وعليَّ جَمْعُ الحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن نكفيك.

فقال صلى الله عليه وسلم: [٤١/أ] «قد علمتُ أنكم تكفوني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عَبْده متميزاً بين أصحابه، وقام صلى الله عليه وسلم وجَمَع الحطب»[١].

وقال يحيى بن أكثم[٢]: ماشَيْتُ المأمون يوماً في بستان مؤنسة بنت المهدي[٣]، فكُنت من الجانب الذي يستره من الشمس، فلما انتهى إلى آخره وأراد الرجوع، أردت أن أدور على الجانب الذي يستره من الشمس.

فقال: لا تفعل، ولكن كُن بحالك حتى أستُرك كما سترتني، فقلت: يا أمير المؤمنين لو قَدِرْت على أن أقيك النار لفعلت، فكيف حَرُّ الشمس، فقال: ليس هذا من كرم الصُّحبة، ثم مشى ساتراً إليَّ من الشمس كما سترته»[٤].

ومنها حفظ المودة القديمة والصداقة الصادقة، أما في حديث: «إن الله يحبُّ الودَّ

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ وإنما هو في كشف الخفا ١/ ٢٩٢ برقم: ٧٦٥: «أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يمتهن نفسه في شيء قالوا: نحن نكفيك يا رسول الله، قال: قد علمت أنكم تكفوني ولكن أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً على أصحابه».

(٢) ابن محمد بن قطن التميمي، رفيع القدر، عالي الشهرة، من نبلاء الفقهاء، يتصل نسبه بأكثم بن صيفي حكيم العرب، توفي ٢٤٢هـ.

(٣) في أعلام النساء: ٥/ ١٢٩ هي مؤنسة جارية ابنة المهدي مغنية من مغنيات العصر العباسي. انظر مروج الذهب للمسعودي.

(٤) العقد الفريد: ٢/ ٤٣١.

القديم فداوموا عليه»[1].

ولذا قيل: «من أحب أن تدوم له المودة فليحفظ مودة أخيه»، وإخوانه [٤١/ ب] القدماء، وأنّ لا يضيع حقهم في ذلك فإنّ للودّ حقاً كما قال الشاعر:

حسناتُ الودِّ معه ... قد أطالت حسراتي

كلَّما ساء فعالاً ... قلت: إن الحسناتِ

ومنها: أن يُكرمه أكثر من إكرامه لنفسه.

فإنه قد رُوي أن سيدنا سليمان صلوات الله وسلامه عليه كان مع ما أُعطي من المُلك يُطعم الناس لذيذ مطعمه ويأكل خبز الشَّعير»[2].

وقيل ليوسف عليه السلام: «ما لَكَ تجوع وأنت على خزائن الأرض، قال: أخاف أن أشبع وأنسى الجائع»[3].

وسُئل بعض الأئمة عمن يعاشر الناس ولا يكرمهم؟ فقال: ذلك لقلّة عقله وسخافة رأيه فإنه يُعادي صديقه، ويُكرم عدوَّه وهو نَفْسه»[4].

وقال بعضهم: رأيتُ أعرابياً جالساً في الفلاة تحت ظلِّ شجرة، ومعه ركوة، وهو يشرب قدحاً، ويصبُّ في أصل الشجرة قدحاً، فقلتُ: ما هذا؟ [٤٢/ أ] فقال: هو نديم لا يزيدُ علي، يلحقني بظلِّه، يحمل عني كلَّه.

ومنها: مُلازمة الأدب وحُسن العشرة معه، ولذا سُئل سيد الطائفة الجُنيد رضي الله عنه عن الأدب؟ فقال: حُسْن العِشرة.

وقال الأحنف بن قيس: ثلاث خصال تُجذبُ بهنَّ المحبة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشِّدّة، والانطواء على المودّة.

وقال بعضُ الظُّرفاء: شرطُ المنادمة قِلَّةُ الخلاف والمعاملةُ بالإنصاف والمُسامحة

---

(١) مرّ سابقاً.

(٢) انظر فيض القدير: ٤/ ٥٠٣.

(٣) تفسير القرطبي: ٩/ ٢١٩.

(٤) آداب العشرة: ٣٣ منسوباً إلى أبي عثمان.

بالشراب والتغافلُ عن الجواب، وإدمان الرِّضى وإطراح ما مضى، وسَتْرُ العيب وحِفظُ الغيب.

ومنها: حِفْظُ سِرِّه.

ومن كلام بعض الحكماء: قلوب الأحرار قيودُ الأسرار[1].

كما قال الشاعر[2]:

لـيس الكـريمُ الـذي إنْ زَلَّ صاحبـه ... بَـثَّ الـذي كـان مـن أسـراره عَلِـمَا

إنَّ الكـريمَ الـذي تبقـى مودتـه ... ويحفـظُ الـسِّرَّ إنْ صـاف وإنْ صـرَما

ومنها: مشاورته.

فقد قال تعالى لأكرم [٤٢/ب] خلقه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[3].

ومنها: أنْ لا يُخالفَه في أمر دنيوي، فإنّ الدنيا أحقرُ من أن يتخالف فيها أخوان.

ومنها: دوامُ صفائك وتَقْواك في العشرة، وطِيب الكلام معه، ودوام البِرِّ والصّلة.

ومنها تَرْكُ هجره فوق ثلاث، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يجوز لمسلم أن يهجُر أخاه فوق ثلاث»[4].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «هَجْرُ المؤمن كسَفْكِ دمه»[5]، وزوال الهجر كما قال الأكثرون يُحصَّل بمجرد السلام.

وقال الإمام أحمد: «لا يبرأ من الهجر إلَّا بعوده إلى الحال التي كان».

كما قال الشاعر[6]:

---

(١) آداب العشرة: ٣٦.

(٢) مكارم الأخلاق: ٣٥٣.

(٣) سورة آل عمران: ٣/ ١٥٩.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب برقم: ٥٦٠٥، ومسلم في البر والصلة برقم: ٤٦٤١.

(٥) أخرجه أبو داود في الأدب برقم: ٤٢٦٩.

(٦) في ديوان الصبابة: ١٣٠.

هجرُكَ لي يا سيدي مَظْلَمه فاستفتِ فيه ابن أبي خيثمه

فإنه يرويه عن جَدِّه وجدُّه يرويه عن عكرمهْ

عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالمرحمهْ

إن انقطاعَ الخِلِّ عن خِلِّه فوق ثلاث ربُّنا حرَّمهْ

وأنت مذ دَهْرٍ لنا هاجرٌ فما تخافُ الله فينا فَمَهْ

[٤٣/ أ] ومنها: تركُ المُداهنة في الدِّين؛ لأنه يترتب عليه من المفاسد، وسُلوك مسالك التُّهم ما لا يَليق.

ومنها: الذَّبُّ عنه والانتصارُ له.

ومنها: دوامُ الرحمة والشفقة، ففي الحديث الصحيح: «من لا يَرْحَم لا يُرْحَم»[1].

وقد كان صلى الله عليه وسلم شَفوقاً في الناس رفيقاً بهم لا سيَّما أصحابه.

فمن شفقته أنه كان لا يدعُ أحداً يمشي معه، وهو راكبٌ حتى يحمله، فإنْ أبى قال: تقدمني إلى المكان الذي تُريد.

«ويُروى أنه صلى الله عليه وسلم رَكِبَ حماراً عرياً إلى قباء، وأبو هريرة رضي الله عنه، فقال: يا أبا هريرة. فقال: ما شئت يا رسول الله؟ فقال: اركب، وكان في أبي هريرة ثقل، فوثب ليركب، فلم يقدرْ فاستمسك برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعاً، ثم ركب صلى الله عليه وسلّم وقال: يا أبا هريرة أحملك، فقال: ما شئت يا رسول الله، فقال: اركبْ، فلم يقدر على ذلك [٤٣/ ب] وتعلَّق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعاً، ثم ركب صلى الله، وقال: يا أبا هريرة أحملك، فقال: والذي بعثك بالحق لا صرعتك ثالثاً»[2].

فتأمل يا سيدي رزقنا الله وإياك مكارم الأخلاق وحُسْن السيرة مع أصحابه وشفقته عليهم وابتداء المعروف إليهم، ولُطفه مع أبي هريرة رضي الله عنه وعرضة عليه

---

(١) البخاري: كتاب الأدب برقم: ٥٥٣٨، وكتاب التوحيد برقم: ٦٨٢٨.

(٢) لم أقف عليه.

الركوب المرة بعد المرة مع ما حصل له من السقوط بسبب تعلقه به.

ومنها: طَلاقة الوجه؛ لأن البشاشة من أخلاق الصِّديقين، ولذا يقال في المثل: «البشاشة خيرٌ من القِرى»[1].

ومنها: تولِّي خدمة من نزل به.

قال يحيى بن أكثم: بتُّ ليلة عند المأمون، فانتبهتُ عطشان، فتقلبت، فقال: ما شأنُك يا يحيى؟ قلت: عطشان، يا أمير المؤمنين.

فوثب من مرقده [٤٤/ أ] وأتاني بكوز، فقلتُ: ألا أمرتَ خادماً، فقال: لا[2]. ثم روى حديث: «إنّ سيّد القوم خادمهم»[3].

ومنها الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات إمَّا مع السؤال والقدرة وإظهار السرور والبُشرى، وهو أقلُّها، وقد كان من السَّلف من يقوم بعيال أخيه ويخدمهم بنفسه بعد موته أربعين سنة بأكثر ما كان يقوم به أميرهم.

ومنها: أن يُشاركه في المكروه كالمحبوب.

ففي حديث عند البيهقي: «أنّ أبا بكر لما خَرَج هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار وجعل أبو بكرٍ يمشي مرة أمام النبي صلّى الله عليه وسلّم، ومَرّة خلفَه، ومرّة عن يمينه، ومرة عن شماله، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: يا رسول الله أذكرُ الرّصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفَك، ومرة عن يمينك، ومرة عن شمالك، لا آمن عليك، فلمّا انتهيا [٤٤/ ب] إلى فم الغار؛ قال أبو بكر: والذي بعثك بالحق لا تدخلْهُ حتى أدخلَه قبلَك، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك، فدخله فجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحراً قلع ثوبه فشقَّه ثم وضعه في الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقي جحر فوضع عقبه عليه ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلتْ الحيات يَلْدغْنَ أبا بكر، وجعلت دموعُه تنحدر، وهذا هو السرُّ في اتِّخاذ

---

(١) المستطرف: ١/ ٣٩٥.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ١١٨.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب: ٢/ ٣٢٤ برقم: ٣٤٧٣.

رافضة العجم اللبَّاد المفضض على رؤوسهم تعظيماً للحياتِ اللاذعين أبا بكر ليلة الغار.

وقال ابن أبي شيبة وابن المنذر عن أبي بكر: «أنّهما لمّا انتهيا إلى الغار، إذا جحر فألقمه أبو بكر رِجله. قال: يا رسول الله إنْ كان لدغة أو لسعة كانت بي»[1].

وقال ابن مردويه عن جندب بن سفيان: قال: لما انطلق أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار قال أبو بكر: يا رسول الله [٤٥/ أ] لا تدخلِ الغارَ حتى أستبرئ منه، فدخل أبو بكر الغارَ فأصابَ يده شيءٌ فجاء يمسحُ الدَّم عن إصبعه، ويقول: هلْ أنتِ إلَّا أصبع دُمِيتِ، وفي سبيل الله ما لَقِيتِ»[2].

وحديث أنس عن أبي نعيم: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما احتج قال لأبي بكر بن ثوبل، فأخذه بالذي صنَع فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدَه وقال: اللهم اجعلْ أبا بكر معي في درجتي في الجنة، فأوحى الله إليه قد استجاب الله لك»[3].

وفي هذا المعنى كما قال آخر[4]:

إن أخاك الحقَّ مَن كان مَعَكْ ... ومَن يَضُرُّ نفسَه لينفعَكْ

ومَنْ إذا رَيْبُ الزَّمان صَدَعك ... شتَّت فيكَ شَمْلَهُ ليجمعَكْ

ومن هذا المعنى لطيفة: «إنه قرع بابَ بعض السلف صديقٌ له بالليل، فنهض إليه وبيده كيسٌ وسيفٌ وجاريةٌ، ففتح له الباب، وقال: قسَّمتُ أمرك بين نائبة فهذا المال، وعدو فهذا السيفُ، و[٤٥/ ب] قضاءِ شهوةٍ فهذه الجارية.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٣٤٥ برقم ٣٦٦١٧.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٩/ ٥٢٨، وذكرت كتب الحديث هذا النص من قول النبي صلى الله عليه وسلم. انظر مصنف عبد الرزاق: ٢/ ٤٤٧ برقم: ٤٠٣٠، مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٢٦.

(٣) حلية الأولياء: ١/ ٣٣.

(٤) الصداقة والصديق للتوحيدي: ٢٤ وفيه:

إنّ أخا الهيجاء من يسعى معك ... ومَن يضُرُّ نفسَهُ لينفعك

ومن إذا صرف زمان صدعك ... بدّد شمل نفسِه ليجمعك

ومنها: أنْ لا يَمُنَّ بمعروف على مَن أحسن إليه، وأنْ يُبالغ في إخفائه عن غير الآخذ ما أمكنه، فإذا المنُّ المُحبِطُ للعمل والموجبُ للعدوان تُعطي شيئاً ثم تقول: أعطيتُ فلاناً كذا أو فلانا كذا، قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ﴾[1].

ومنها: أنْ لا يَقْبَل في أخيه وصديقه مقالة واشٍ أو نمَّام، لما مَرَّ مبسوطاً.

ومنها: الوفاءُ بحقِّ الأخوة، ولو بعدَ الموتِ بحفظه في ولده، ودوام الدعاء له وزيارة قبره، وحفظِ عَوْدته، كما قال بعضهم[2]:

أُحِبُّ من الإخوانِ كُلَّ مُواتي ... وكلَّ غضيضِ الطَّرفِ عن عثراتي

يوافقني في كُلِّ أمرٍ أُريدُه ... ويحفظُني حَيّاً وبعد مماتي

وقول الآخر[3]:

ثلاثُ خصال للصديقِ جَعلتها ... مُصارعة للصّدم والشُّبهاتِ

مواساتُه والصَّفحُ عن كلِّ زَلَّةٍ ... وتركُ ابتذالِ الشَّرِّ في الخلواتِ

ومنها: سلامة الصَّدر للقريب والبعيد [٤٦/ أ]، وقبولِ نصيحته، فإن هذه كلُّها من جُملة أخلاق الأبدال.

ومنها: أن لا يُخلفَ وَعْدَه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[4]، بل يُوفيه ما وعده من جُملة الوفاء بالعهد، وقد أمرَ الله تعالى به، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾[5]، وقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[6].

وفي الوفاء بالوعد فضائل كثيرة، وقد جمعنا فيما يتعلق بالوفاء رسالة مشتملة على فوائد ونكت وفرائد وأشعار وحكايات فائقة تسمّى «حفظُ العهد بحسن الوفاء

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ٢٦٤.

(٢) ديوان الشافعي: ٤٢.

(٣) شعب البيهقي برقم: ١١٢٠٤، وآداب العشرة: ٥٣.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ٩.

(٥) سورة النحل: ١٦/ ٩١.

(٦) سورة الإسراء: ١٧/ ٣٤.

بالوعد»، فراجِعْها إن شئت.

ومنها: تَذَكُّرُ قديمِ العهد والأخوة عند وقوع الوحشة وتنافر الإلفة حتى يعود دوام الوصلة وتزول تلك القطيعة والمَثلة، فإن من كَرَمِ العهد والمروءة والنخوة عدمُ نسيان وصلة الصداقة.

وأنشد بعضهم[1]:

نَصِلُ الصديق إذا أراد وِصالَنا ... ونَصُدُّ عنه صُدودَه أحيانا

[٤٦/ب]إنْ صَدَّ عني كنتُ أكرمَ معرض ... ووجدتُ عنه مذهباً ومكانا

إنَّ الكريمَ إذا تقطَّع وُدُّه ... كَتَمَ القبيحَ وأظهرَ الإحسانا

وقول الآخر:

جَفوني ولم أجفِ الأخلاء إنني ... لغير جميلٍ من خليلي مُهْمِلُ

ومنها: قبول اعتذاره ولو بالكذب.

ففي حديث: «من اعتذر إليه أخوه المسلم فلمْ يقبلْ عُذْرَه فعليه مثل إثم صاحب مَكْس»[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ لم يقبلْ من متنصِّلٍ عُذراً؛ صادقاً كانَ أو كاذباً، لم يَرِدْ على الحوضِ»[3].

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «أعقلُ الناسِ أعذرهم للناس»[4]، اهـ.

كما قال الشاعر[5]:

إقبَلْ معاذيرَ من يأتيكَ مُعتذراً ... إنْ بَرَّ عِندكَ فيما قال أو فَجَرَا

---

(١) آداب العشرة: ٥٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب برقم: ٣٧٠٨.

(٣) الإصابة: ٥/ ٤٦٧ برقم: ٧١٧٣.

(٤) جمهرة خُطب العرب: ١/ ٤٤٦.

(٥) العقد الفريد: ٢/ ١٨، وشعب البيهقي برقم: ١٢٠٢.

فقد أجلَّك مَنْ أرضاكَ ظاهرُهُ وقدْ أطاعَكَ من يَعصيك مُستترا

وقول بعضهم[1]:

إذا اعتذر الصديقُ إليكَ يوماً فجاوزْ عن مساويه الكثيرَه

فإنَّ الشَّافعيَّ روى حديثاً بإسنادٍ صحيح عن مُغيرَه

[٤٧/ أ] لقد قال النبيُّ يقبل ربي بعُذرٍ واحدٍ ألْفَي جَرِيرَه

وقول الآخر[2]:

قيل لي قد أساءَ إليكَ فلانٌ ومقام الفتى على الذُّلِّ عارُ

فقلتُ: قد جاءنا وأحدث عذراً وهِبَةُ الذَّنبِ عندنا الاعتذارُ

وقال بعضهم:

العبدُ أساءَ وقد أتى معتذراً والذَّنبُ جرى ولا علم كيف جرى

إن كنتُ أسأتُ، فَضْلُكم يحملني والماضي لا يُعادُ بين الفُقَرا

ومنها: أنْ لا يُنسيه بُعْدُ داره إخوانَه وأصدقاءه، وإنَّ نسيانهم حينذاك ليسَ من مكارم الأخلاق، ولا من شيم من طهُر من الأدناس والنِّفاق.

وقد قيل: «من كَرَمِ الرَّجلِ حُبُّه أوطانه وشوقُه إلى إخوانه»[3].

ومنها: المبادرةُ بِرَدِّ جوابِ الكتابِ المتضمن للسلام كما تجب المبادرة بردِّه باللفظ لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن لجواب الكتاب حقاً كرَدِّ السَّلام»[4].

وظاهره لزوم الرَّدِّ فإنْ كان في الكتاب غيرُ السلام كان جوابه من الأدب.

ومنها: [٤٧/ ب] تكريره زيارة الإخوان غِبّاً، كما في الحديث:

---

(١) كشف الخفا: ٢/ ٣٠٦.

(٢) ديوان الشافعي: ٤٣.

(٣) آداب العشرة: ٥٧، منسوباً إلى ابن الأنباري، وفيه: «حنينه إلى أوطانه».

(٤) مسند الشهاب: ٢/ ١١٩.

«زُرْ غِبّاً تَزْدَد حُبّاً»[1].

لكنَّ قيَّد الحديث بغير الصَّديق المصادق، وأمَّا هو ولو تكررت الزيارة في اليوم مراراً بل لا يزيده ذلك إلّا صُحبة.

قولُ الإمام الشافعي رضي الله عنه في حَقِّ الإمام أحمد بن حنبل حينَ كانَ كلٌّ منهما يزور الآخرة، فأحسن ما قيل:

قالوا يزورك أحمدٌ وتزورُه ... قلت: الفضائلُ لا تُفارقُ منزلَه

إنْ زارني فبفضله أو زرته ... فبفضلِه فالفضلُ في الحالينِ له

وقال أحمد رضي الله عنه:

إنْ زرتنا فبفضلٍ منكَ تُمنينا ... أو نحنُ زُرْنا فاللفضلِ الذي فيك

فلا عَدِمنا كِلا الحالين منكَ ... ولا نالَ الذي يتمنى فيك شانيك

ومنها: أنَّ أبا بكر رضي الله تعالى عنه لمّا جاء النبي صلى الله عليه وسلم يومَ فتح مكة بأبيه ليُسلم، قال له صلى الله عليه وسلم: لِمَ عييت الشيخ يا أبا بكر إلّا تركته حتى أكون أنا آتيه في منزله، فقال له: بأبي أنت وأُمّي [٤٨/أ] هو أولى أن يأتي إلى رسول الله[2] صلى الله عليه وسلم، وأنشد بعضهم[3]:

نزوركم لا نُكافئكم بجفوتكم ... إنّ المحبَّ إذا لم يُستزر زارا

يُقرِّبُ الشَّوقُ داراً وهي نائيةٌ ... مَن عالَج الشوقَ لم يستبعدِ الدَّارا

ومنها: أنْ تنصحَه، لكن في السِّرِّ دون العَلَنِ مع المبالغة في البيان للإصلاح والتبرِّي من الخِطاب وخَفْضِ الصوت ورعايةِ مقداره وعلمه وفهمه.

ومنها: أنْ تفتقده وتسعى إليه في المهمات والنوائب والأمراض ونحوهما مع صِلة، وإن قلّت، وتحزَنَ لِحُزنه وتُسَرَّ لِسروره، وتُواسيه بجلوسك عنده ما ظهر لك أنه

---

(١) المطالب العالية: ٢/ ٤٠٧.

(٢) مستدرك الحاكم: ٣/ ٢٤٤، ومجمع الزوائد: ٩/ ٥٠.

(٣) آداب الصحبة للسلمي: ١٣٤ وفيه: «وهي نازحة».

يَودّك، وتقوم لقيامه وتجلس لجلوسه وتَبْذل الجهد في قضاء حاجته، فإنه من السُّنَّة فضلاً عن كونه من حقوق الصديقين.

يُروى أنه صلى الله عليه وسلّم جاءته امرأةٌ في عقلها شيءٌ، فقالت له: يا رسول الله إنّ لي عندك حاجة [٤٨/ ب] فقال: اجلسي يا أُمّ فلان في أي طريق المدينة شئت أجلسُ إليك حتى أقضي حاجتك، قال: فجلست، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها[١].

وعن أنس رضي الله عنه: إنْ كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها[٢].

وما يُروى عن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام أنّ العجوز كانت تعترضه وهو على الريح في جنوده، فيأمر الريح فيقف، فينظر في حاجتها ويُمضي[٣].

قال الفضيل: تَرْكُ قضاء حقوق الإخوان مذلَّة لهم واحتقارٌ بشأنهم[٤].

ومنها: العفو عن زلته وهفوته وتَرْك مؤاخذته بها ثمَّ إنْ كانت دينية، فعليك بالتّلطّف به ما أمكن حتى يعود صلاحُه.

قال [٤٩/ أ] أبو الدرداء[٥]: إنْ تغيَّر أخوك فلا تَدَعْه فإنه يعوج مرة ويستقيم أخرى.

وتبعه إبراهيم النخعي[٦] فقال: لا تهجر أخاك عند ذنب يذنبه، فإنه يرتكبه اليوم

---

(١) مسلم في الفضائل برقم: ٤٢٩٣، وأبو داود في الأدب برقم: ٤١٨٢، وابن ماجه في الزهد برقم: ٤١٦٧.

(٢) البخاري في الأدب برقم: ٥١٠، ومسلم في الجنة وصفتها برقم: ٥٠٩٢، وابن ماجه في الزهد برقم: ٤١٠٦.

(٣) الشفا: ١/ ١٥١.

(٤) تاريخ بغداد: ٣/ ١٥٩ منسوباً إلى أبي عمر بن محمد غلام ثعلب.

(٥) عويمر بن زيد بن قيس سيد القراء وحكيم الأمة، أسلم يوم بدر، توفي ٣٢هـ.

(٦) إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن مالك بن النخع، وكان أعور. انظر ترجمته في الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٧٣.

زادت صارت محبةً، فإذا زادت صارت خِلَّة، فالخليل أقربُ من الحبيب إذا المحبة ما يتمكن من محبته القلب، والخلَّة ما يتخلل بالقلب، واتحاده به أنهى»[1].

فتأمّل يا سيدي اتصال القلوب مع بعضها [٥٠/ أ] وقول بعضهم[2]:

قد تخللتَ مَسْكن الروح مني ... وبِذا سُمي الخليل خليلا

فإذا ما نطقتُ كنتَ حديثي ... وإذا ما سكتُّ كنتَ الغَليلا

فَكُلُّ خليل حبيبٌ ولا عكس، فالخُلَّة أعلى من المحبّة.

قال الشامي في سيرته في حرف الخاء من أسمائه صلى الله عليه وسلم ما نصُّه: «الخُلَّة أعلى وأفضل من المحبّة»[3].

قال ابن القيِّم[4]: وأمَّا ما يظنُّه بعض الغالطين من أنَّ المحبَّة أكملُ من الخُلّة، وأنّ إبراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله، فَمِنْ جَهْله، فإن المحبة عامة والخلة خاصة، وهي نهاية المحبة.

قال: وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن الله اتخذه خليلاً، ونفى أن يكون له خليل غير ربِّه ثم قال: يعني ابن القيِّم، وإنما هذا من قِلَّة العِلم والفهم عن الله ورسوله»[5].

وقال الزركشي[6] في شرح البُردة: زعم بعضهم أن المحبة أفضلُ من [٥٠/ ب] الخُلَّة[7].

وقال: محمدٌ حبيب الله وإبراهيمُ خليلُ الله، وضعّف بأنّ الخُلّة خاصّة وهي توحيد

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ديوان أبي بكر الشبلي: ١٢٠.

(٣) سبل الهدى: ١/ ٤٥٥.

(٤) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب المشهور بابن القيم الجوزية، توفي ٧٥١هـ.

(٥) سبل الهدى: ١/ ٤٥٥.

(٦) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، بدر الدين، عالم بفقه الشافعية والأصول، له تصانيف كثيرة منها المنثور، البحر المحيط، توفي ٧٤٥هـ.

(٧) سبل الهدى: ١/ ٤٥٦.

المحبة والمحبة عامة[1]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[2].

قال: وقد صَحَّ أنّ الله اتخذ نبيّنا خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً[3].

قلت: ولا يعكر عليَّ هذا اتخاذ إبراهيم بالخُلة، ومحمد صلى الله عليه وسلم بالمح فتكون رتبة المحبة أرفعُ من رتبة الخلة، لأنَّا نقول إن نبينا عليه الصلاة والصلاة ؛ تثبتت له الخلة أيضاً لما في حديث ابن مسعود عند مسلم، وقد اتّخذ الله إبراهيم خليلاً.

وأمَّا ما ذكره القاضي عياض في الشفاء من الاستدلال لتفضيل مقام المحبة ع الخُلة، بأنّ الخليل قال: لا تخزني، والحبيبُ قيل له: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ إلى غ ذلك مما ذكره، ففيه نظر لأنّ مقتضى الفرق بين الشيئين أن يكون في حدٍّ [٥١/ أ] ذاته يعني باعتبار مدلول كل خليل وحبيب فما ذكره يقتضي تفضيل ذات محمد صلى ا عليه وسلم عن ذات إبراهيم عليه الصلاة والسلام من غير نظر إلى ما جعله عِلّة معنوي في ذلك من وَصْفِ المحبّة والخُلَّة»[4] اهـ. انظر القسطلاني على البخاري في باب فضائل الصحابة.

وقد ورد في الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لو كنت متخذ خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أُخَوَّة الإسلام أفضل»، وفي رواية: «أُخو الإيمان والإسلام أفضل»[5].

ولا يعكر على هذا كون الخُلة أفضلُ من أخوة الإسلام؛ لأنها تستلزم أُخوة الإسلام لأنّا نقول: المراد أنّ مودة الإسلام مع النبي صلى الله عليه وسلم أفضلُ من مودته مع غيره.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ٢٢٢.

(٣) انفرد به مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ٨٢٧ بلفظ: «إن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كم اتخذ إبراهيم خليلاً».

(٤) فتح الباري: ٧/ ٢٤.

(٥) البخاري وغيره، كتاب الصلاة، برقم: ٤٤٦ بلفظ: «من أمتي... لاتخذت أبا بكر ولكن أُخوة الإسلا ومودته».

وبه تعلم صِحة تقديم الأخوة في كلام جعفر [٥١/ ب] الصادق على الخُلة؛ لأنّ مراده مطلق الأُخوّة لا أُخوة خاصة، ولا يعلم على هذا أيضاً اشتراك جميعُ الصحابة في هذه الفضيلة؛ لأنّ رُجحان أبي بكر عُرف من غير ذلك.

وأُخوة الإسلام ومراتبه متفاوتة بين المسلمين ونُصرة الدِّين في إعلاء كلمة الحق وتحيل كلمة الثواب، ولأبي بكر من ذلك أكثره وأعظمه[١]. انتهى قسطلاني في باب فضائل الصحابة من البخاري.

وإنما أسبغنا الكلام في هذا البحث حتى خرج عن المقصود لأنه فائدة عظيمة وغنيمة حتمية ينبغي المحافظة عليها لا سيما وهي منوطة بفضل نبينا صلى الله عليه وسلم على غيره.

و«الخليلُ مشتق من الخُلّة؛ بالضم، وهي الصداقة، وبالفتح الحاجةُ، وبالكسر الخِصلة»[٢].

ومنها خِلال الكُفَّار.

وقالوا: الوفاء بعقد الأُخوة إذا سبق انعقادها واجبٌ.

وحديث البخاري: [٥٢/ أ] «لا تكونوا عُوناً للشيطان على أخيكم»[٣]. قالت العلماء رضي الله تعالى عنهم: «من إعانته التلطُّف بأخٍ عصى، فإنَّ التلطّف به يعيده إلى صلاحه بسرعة، وعدمَه يمكِّن الشيطان منه فيزيدُ في إغوائه إلى أن يملكه، وإن كانت هفوته في حقِّك، فلا خلاف أن عفوك واحتمالك أولى بك بَلْ كُلُّ ما أمكن له حملُ صحيح تُعين إعذاره فيه.

فقد قيل: عليك أن تبسط لزلَّة أخيك سبعين عُذراً، فإن أبى قلبك، فقُلْ له: ما أقساك يعتذر إليك أخوك بسبعين عذراً فلا تقبله.

ومن ثَمَّ قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: مَن استُرضي فلم يَرْضَ، فهو

---

(١) فتح الباري: ٧/ ٢٣.

(٢) اللسان: (خلل).

(٣) مسند أحمد برقم: ٣٩٥٥.

شيطان، ومَنْ استُغضب فلم يغضب فهو حمار[1].

وقيل: الصَّبرُ على غُصص الأخِ خيرٌ من معاتبته، وكفى للصبر دليلاً ما وردَ من الآيات والأحاديث.

فمن الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: «[٥٢/ ب] نِعْمَ سلاح المؤمن الصبرُ»[2]، وهي خيرٌ من قطيعة، وهي خير من الوقيعة فيه.

واحذَرْ إذا قاطعت أنْ تُبالغ في النقض؛ لقوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾[3].

وصَحَّ: «أحببْ حبيبَك هوناً ما؛ عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما؛ عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»[4].

كما قال الشاعر[5]:

إني لأمنحك الصُّدودَ وإنني ... قَسَماً إليك من الصُّدود أميلُ

ومنها: دوامُ عَدَمِ مصادقة عَدُوِّه.

ومن ثَمَّ قال الشافعي رضي الله عنه: «إذا أطاع صديقُك عدوَّك فقد اشتركا في العداوة»[6].

فتأمَّل هذه الحقوق بعين النُّصفة واجْرِ على مقتضاها، ولا تحوج إلى مزيد اعتذار، ولا تكن كمن قال علي كرّم الله وجهه في حقِّ شرط الأصدقاء: «من تكلَّف لك ومن أحوجَك إلى مُداراته أو ألجأك إلى الاعتذار»[7].

والحاصلُ أنَّ [٥٣/ أ] كلَّ من رأى نفسَه دون إخوانه، وأحسن الظَّنَّ بهم وأسى

---

(١) محاضرات الأدباء: ١/ ٢٢٤، وفيه: «فهو جبار» بدلاً من «شيطان».

(٢) كشف الخفا: ٢/ ٤٢٣ برقم ٢٨١٥، وقال: رواه ابن عباس.

(٣) سورة الممتحنة: ٦٠/ ٧.

(٤) الترمذي منفرداً به في كتاب البر والصلة برقم ١٩٢٠.

(٥) الأغاني: ٢١/ ١٠٦.

(٦) التحفة السنية (مخطوط): ٣٢٨.

(٧) المصدر السابق.

بنفسه حِفظَهم وسادَهم ومَن قطعهم وتخلَّف منهم.

وقد قيل: «مَنْ سقطت كلفته دامت إلفته، ومَنْ خفَّت مُؤنته دامت مودّته».

وأمَّا الدّرجة القصوى وهي أن ترى لأخيك الفضلَ دائماً وإنْ أساء، فهي مرتبة الخواص لا يقدرُ عليها الأفراد، وفقهم الله تعالى عليها، ومَنَّ عليهم بالخروج عن هوى نفوسهم وسائر حظوظهم أصلاً ورأساً، فأقاموا نفوسهم لإخوانهم في الله تعالى مقامَ الخادم الذليل الذي لا يحصل ولا يحكم على شيء من أموره، ولا يكتم عنهم شيئاً من سره.

# تتمَّـة

إذا تقدّر لك ذلك وعرفته وتحققتَ هذه الحقوق الخاصة، فينبغي لك الاقتداء بها والتأسي بسيد الأولين والآخرين، فإنها من بعض أخلاقه لا سيما حق صحبة الصديق الموافق والخِلّ الموافق ونحن متحملون، ولكن ليس لنا في أنفسنا اختبار بل نقول [٥٣/ ب] كما قال القائل:

ولـيس للعبـــد شيءٌ في تـصرُّفه ... الحكـمُ لله مـا شـــاء الإلـه فَعَـلْ

يقضي الإلـه ويـرضى عبـــده الله ... بـما قـضـاه وإلَّا فهـو عبـد زلـلْ

وألـقِ نفـسَك في تيـــار قدرتـه ... مفوِّضـاً لأمـــور الله فـيما فعـلْ

ونحن محتملون فيما بيننا من الإلفة والمحبَّة والعشرة والمودَّة وعَملاً بقوله صلى الله عليه وسلّم: «إن الله يحب حفظَ الودِّ فداوموا عليه»[1].

لكن قد تطاول بالفقير الأمد وتزايد الكَمد حتى أوقعته كاف الكربة في ألف الأشجان، ورَمَتْهُ غينُ الغُربة في هاء الهوان، فأصبح صاد صبره مفقوداً، ونون نواله مطروداً من عقارب أهون الرهائب وكغائب إخوان الغياهب الذي قال في حقِّهم القائل:

يَغْشَوْنَ بينهم المودة والصَّفا ... وقلوبهم يحتشرْنَ عقارب

---

(١) الحديث في الكامل في ضعفاء الرجال: ٤/ ١٩٠ برقم: ١٠٠٣.

# الخاتمة

في إسقاطات شعرية وسجعيّة وأنهي عن العفو ونبذة في العفو عن كلِّ جنية ليعلم أنَّ التذلل للمحبوب أمرٌ [٥٤/ أ] مطلوب، لما ينشأ من ستر العيوب، وإراحة القلوب، وقد يعقبه رضى المحبوب، وفي هذا قال الشَّاعر:

قُلْ لمن تهوى فليس الهوى سهل ... إذا رضي المحبوب صَحَّ لك الوصلُ

تذلَّل لـــه تحظَ برؤيـــا جمالـــه ... ففي حُبِّه يحلو التَّهتُّك والقتـــلُ

فالمأمول من حضرة مولانا وسيدنا لا زال باقياً مدى الأيام والليالي، راقياً ذُرى المجد والمعالي، والمأمول من مولانا أن يترك الهجران، وتفقُّد الخِلَّان، وزيارة الإخوان عادات الصالحين، فقد سنَّه الأنبياء والمرسلون.

فقد كان صلى الله عليه وسلم يتفقد أصحابه ويسألُ عنهم، فمن كان مريضاً عادَه، ومن كان غائباً دعا له، ومن مات استرجع فيه وأتبعه بالدُّعاء، ومن كان يتخوف أن يكون وجد في نفسه شيئاً قال: لعلَّ فلاناً وجد علينا في شيء أو رأى منا تقصيراً، انطلقوا بنا إليه، فينطلق حتى يأتيه منزله، وما أحسن قول القائل[1]:

[٥٤/ ب] تفقّدُ الإخوان مستحسنٌ ... فمـــن بَـــدا فَنِعِمّـــا بَـــدا

سَـــنَّ سُـــليمان لنـــا ســـنّةً ... وكـــان فِيمـــا ســـنَّـــة يُقتـــدا

تفقّـــد الطـــيرَ علـــى مُلكـــه ... فقـــال: مـــا لـــي أرى الهُـــدهدا

وقول الآخر[2]:

---

(١) تاج العروس: ٢/ ٤٥٤.

(٢) العقد الفريد: ٢/ ٣٠٥.

إنَّ الكـــرامَ إذا مـــا أسـهلوا ذكـــروا مَـــن كـــان يـــألَفُهم في المنـــزلِ الخَـــشِنِ

فهذه السُّنّة السَّنيَّة والطريقة الحسنة المَرضيّة سُنَّة الأنبياء العِظام والمرسلين الكرام وطريقة العلماء الأخيار والحكماء الأبرار.

والفقير على الودِّ باقٍ لا يُغيره قالٌ عن حالٍ، بل يَراكم في كلِّ الأوقات بعين الكمال:

إذا تجلَّـــــى حبيبـــــي بـــــأيِّ عـــــينٍ أراه

بعَيْنِـــــه لا بعينـــــي فمـــــا يـــــراهُ سِـــــواه

وقول بعضهم:

إذا طلعـت شـمسٌ عـليَّ بسـلوةٍ أثـــارَ الـهَوى بـين الـضُّـــلوعِ

والفقيرُ معترفٌ بالإحسان، شاكرٌ في كُلِّ وقت وأوان، وكما قال الشاعر[1]:

قيّـــدتُ نفـــسي في ذُراكَ مَحبّـــة ومـن وَجَـد الإحسانَ قيـد أتقيَّـدا

[٥٥/أ] وقول بعضهم:

فمـن ذا الـذي ينـسى عزيـزاً بـودِّه ومَن ذا الـذي ينـسى الـشَّفوقَ الموالـيا

كما قال الشَّاعر:

لا تحـــسبوا أني نـــسيتُ وِدادكـــم وأني وإنْ طـال المَـدا لـستُ أنـساكُم

حفظـــاً لكـــم عهـــداً قـــديماً ونحـنُ على العهد الـذي قـد عهـدناكم

ونحـنُ عـلى مـا تعهـدون مـن الوفـا يَـودُّكم قلبـي وبالغيـب يَرْعـاكم

ولـيس بنـاءِ عَهْـدكم بعـد بُعْـدِكم ومـا دامَ قلبـي عنـدكم كيـفَ ينساكم

وقول الآخر، وقد أحضره ليعاقبه على جناية جناها: «أنا من لا يحاجك عن نفسه ولا يُغالطك في جرمه، ولا يلتمس رضاك إلا من جهة عفوك، ولا يستعفيك إلَّا

---

(١) يتيمة الدهر: ١/ ١٤٦ منسوباً إلى المتنبي.

بالإقرار بالذنب، ولا يستمليك إلا بالاعتراف بالزلّة»، فاستحسن ذلك وعفا عنه»[1].

ومن كلام سيدي عمر[2]:

ولكَ الأمرُ فاقْضِ ما أنت قاضٍ ... فعلى الجمالِ قد ولّاكا

وبما شئت في هواك اختبرني ... فاختباري ما كان فيه رضاك

والفقير يودُّ لو كان هذا الكتاب أو ساعدته [٥٥/ب] الأيامُ على زيارة ذلك الجناب ليرى وجوه هاتيك الأحباب، فإن رؤيتكم مما تبتهج بها الخواطر وتلتذُّ بها الأعينُ والنواظرُ، وتنتعشُ بها القلوب انتعاش الرَّوض بباكرته، وقول بعضهم:

يا مُنايَ وسيّدي واعتمادي ... طالَ شوقي فمتى يكون لِقاك

ليس قصدي من الديار معاشا ... غير أني أزورها لأراك

وكما قال الآخر:

هل سبيلٌ للتلاقي ... فلقدْ زاد اشتياقي

بعد وصل واجتماع ... وحديثٍ واتفاقِ

فدموعي فوق خدِّي ... في انسكاب واندفاق

وسقاني البينَ كأساً ... طعمُه مُرُّ المذاقِ

وكما قال الشاعر:

أنتم بقلبي أيها الراحلون ... جودوا بعطفٍ أيها الغائبون

يا جيرة الحيِّ وحَقّ الذي ... صبر صبري دائماً لا يَهُون

إنَّ غرامي واشتياقي بكم ... زيد إلى أنْ قيل عندي جنون

ولا تعرضت بديلاً بكم ... وذاك شيءٌ في الهوى لا يهون

---

(١) انظر تخريجه في صبح الأعشى في صناعة الإنشا: ٢/ ٣٥٨.

(٢) عمر بن علي الفارض، حموي الأصل، مصري المولد، أشهر المتصوفين، لُقّب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تصل بوحدة الوجود، توفي ٦٣٢هـ.

[٥٦/أ] نحن المسيؤون ومن ذنبنا ... إليكَ بـا ربَّ الـورى تـائبون

فـلا تُؤاخـذونا بأفعالنـا ... إنَّـا عـلى أنفسنا مُسرفون

قـد مَسَّنا الضُّرُّ ولا راحـم ... يطمـعُ في رحمتـه المـذنبون

وقول بعضهم:

حاشاك تكسرُ قلباً أنت جابرُه ... أو يشتكي خُذلاً من أنت ناصِره

أنتَ العزيز وذُلِّي فيك يشفع لي ... من عظم جُرمي ذنباً أنت غافرُه

يا سيدي عبدُك المسكينُ ليس له ... سواك من شؤم قبيح أنتَ ساترُه

يلقاكَ في الحشرِ بالسِّرِّ المصون ولم ... ينسَ الودادَ ولا خانت ضمائره

لا يشتكي وَحْشة من أنت مُؤنسه ... ولا يغير عهداً أنت ذاكرُه

كما قال الشَّاعر:

إلى بابكم سعيي وإني مقصِّرٌ ... فقيرٌ إليكم فارحموا زَلَّةَ العبدِ

فإن تطردوني ليس لي غيرُ بابكم ... وإن أنتم عني رضيتم فيا سعدي

وقول الآخر:

على البابِ واقفٌ عبدُ ودٍّ ... بعادات اللقاء منكم يفوزُ

يجوز البابَ عن إذن كريمٍ ... وإلَّا فهو شيءٌ لا يجوزُ

وقول بعضهم:

على الباب عبدٌ بالتحية ناطقٌ ... بجودك مغمورٌ بنعماكَ مُعترف

[٥٦/ب]أيدخلُ كالإقبال دام لك البقا ... مدا الدهر أنْ مثلَ الحوداث ينصرف

وكما قال الشَّاعر:

وقفتُ بالذُّلِّ في أبوابِ عِزِّكم ... مستغفراً من ذنوبي عند بابكم

أمرِّغُ الخدَّ ذُلّاً في التراب عسى ... أن تقبلوني وترضوني عشيركم

فإن رضيتم فيا عِزِّي ويا شرفي ... وإنْ أبيتم فمن أرجوه دونكم

لا بلَّغ الله عيني حُسنَ رؤيتكم ... إن طابَ للسمع يوماً غير ذكركم

إن متُّ في حُبِّكم شوقاً فيا شرفي ... كذا هيناً وموتي عندكم بكم

وإن نويت اصطباراً في محبتكم ... عَدِمتُ طيب مسراتي وأُنسَكم

نسيتُ كلَّ طريقٍ كنتُ أعرفها ... إلَّا طريقاً تُوصلني لبابكم

أنا المقرُّ بذنبي فاصفحوا كرماً ... وبانكساري وذُلِّي قد أتيتكم

لا تطردوني فإني قد عُرفت بكم ... وصِرْتُ بين الورى أدعي محبَّكُم

وقول الآخر:

أطمعتموني في الوصال وفي اللّقا ... وهجرتموني فالتهبتُ تحرُّقا

يا مالكاً رِقِّي وغاية مطلبي ... رِقَّاً فقد ذابَ الفُؤادُ تشوُّقا

حاشاكم أنْ تطردوني سادتي ... ويحبكم قلبي غدا متعلقا

يا سادة لم يَهْنَ لي من بعدهم ... عَيشٌ ولا عانيتُ شيئاً مؤنقا

إنْ مِتُّ من وجدي وفَرْطِ صبابتي ... شوقاً إلى رؤياكم لكم البَقا

[٥٧/أ] هاكم فؤادي فتشوه فإن تروا ... فيه لغيركم هوى وتشوقا

فتحكموا فيه بما يرضيكم ... يا منيتي إن خاف يوماً موبقا

وإذا فنيت بحبكم فيحقُّ لي ... إن الفناء بحبكم عينُ البقا

وكما قال الشَّاعر:

بحُرمة أيامِ الوصالِ الكوامل ... وطيبِ ليالينا الوصال الكواملِ

بما بيننا من عِفَّة وصيانةٍ ... وأقوالِ صدقٍ لم تدنس بباطلِ

بمكة بالبطحاء بالخيف من مِنى ... بحجّاج بيت الله في كُلِّ قابلِ

أجرني من الهجرانِ والصَّدِّ والقِلا ... ولا تجفني فالهجرُ لا شكّ قاتلي

وقول الآخر:

ردوا علينا لياليناالتي سلفت ... فليس لي في البرايا غير فضلكم

ذُلِّي لكم شرفٌ في الحبِّ أُظهره ... وما أرتجي وداداً غير وِدّكم

لو أنَّ ألف لسان لي أتيتُ بها ... شُكري بها لم أقُم يوماً بشكركم

عودوا وجودوا كما كنتم فلستُ أرى ... يجلو السمع حديثاً غير ذكركم

إن كنتُ أذنبتُ فاعفوا سادتي كرماً ... فمن يرتجي لِعفوِ الذَّنبِ غيركم

وكما قال الآخر:

إليكَ من هجرك أرجو الفرار ... وأنتَ ما زِلتَ مُقيلَ العثارِ

فاغفِرْ لعبدٍ راحَ في قلبه ... من خيفة الأوزار وَقْد الجمارِ

[٥٧/ ب] وكما قال الشاعر:

هاكم فؤادي فإنْ لاقيتم أثراً ... لغيركم فاجعلوا التّأديب مأواه

وها لساني فإن أنباكم خبراً ... عن غيركم صححوا تكذيب دعواه

فإن تكنْ أنت دون الناس بُغيته ... فامنُن عليه ولو يوماً بلُقياه

فأنت للصَّبِّ أقصى ما يُؤمله ... وأنتَ للقلب أحلى ما تمناه

وقول الآخر:

يا من سقى قلبي شرابَ وِصاله ... وإباحة نظر الحسن جَمَاله

عوّدته منك الجميل فأجره ... كرماً على عاداتِ حُسن جماله

حاشاك تمنعه الوصال وقد أتى ... مستظلاً من عظيم قُبح فِعاله

لا تبتليه بالبعاد وبالجفا ... يا سيدي أنتَ العليم بحاله

وقول بعضهم[1]:

---

(١) ديوان أبي نواس: ٣/ ٢١٠.

فـإن تُـولِني منـكَ الجمـيلَ فأهلـه وإلَّا فإنـي عـاذِرٌ وشـكورُ

والحاصل: أنَّ المطلوب التَّجمُّل بأثوابِ العفو، والتَّحمل لكلِّ خطأ وَهفو، فإنّ فَضْلَ العفو كبيرٌ ونفْعَه غَزيرٌ، ولفَضْلِه قَدَّمه الله تعالى في كتابه العزيز على المقامين بعده في قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1]، [٥٨/ أ] خطاباً لنبيه صلى الله عليه وسلم تكريماً له.

وقول الآخر[2]:

هَبْنـي أسـأْتُ كـما تقـولُ فـأينَ عاقبـةُ الأُخـوّه

فـإذا أسـأْتُ كـما أسـأْتَ فـأينَ فـضلُك والمـروءه

وكما قال الشاعر:

إنْ كنـتُ أسـأْتُ نحـن التـائبون لكـم وذَنْـبُ مـن تـابَ عنـد الله يُغتفـرُ

وقول بعضهم:

فَهَبْنـي يـا معـذّبُ قـد أسـأْتُ وبالهجـرانِ يـا خِلِّـي بـدأْتُ

فـإنَّ الفـضـلَ منـك فَـدَتْكَ نفـسي عـليَّ إذا أسـأْتَ كـما أسـأْتُ

والآيات والأحاديث الواردة في فضله كثيرةٌ كقوله تعالى: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[5].

وقال عليه الصلاة والسلام: «أدّبني ربي أدباً حسناً إذ قال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾، فلمّا قبلتُ ذلك قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾»[6].

---

(١) سورة الأعراف: ٧/ ١٩٩.

(٢) شعب الإيمان برقم: ١١٢٠٧.

(٣) سورة البقرة: ٢/ ٢٨٦.

(٤) سورة التغابن: ٦٤/ ١٤.

(٥) سورة الشورى: ٤٢/ ٤٠.

(٦) تفسير القرطبي: ١٨/ ٢٢٨ وفيه: «تأديباً».

ومن الأحاديث الواردة [٥٨/ ب] ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال: «يُنادى مُنادٍ يوم القيامة مَنْ له أجرٌ على الله؛ فَلْيَقُمْ، فيقوم العافون عن الناس»[١]، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾».

ورُوي: «الله عفوٌّ يحبُّ العفو»[٢].

ورُوي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قال موسى: يا رَبِّ أيُّ عبادك أعزُّ عليك؟ قال: الذي إذا قَدِر عَفا»[٣].

وفي شُعب البيهقي عن عمر بن الخطاب مرفوعاً: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: لِيَقُمْ الذين كانت أجورهم على الله، فلا يقوم إلَّا من عفا»[٤].

ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ما زاد الله عبداً العفو إلَّا عزة، وما تواضع أحدٌ لله إلَّا رفعه»[٥].

وروي أيضاً عن جبريل عليه السَّلام أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد إنّ الله يأمرك [٥٩/ أ] أن تَصِلَ مَنْ قطعك، وتُعطي من حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك»[٦].

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: لمّا بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال: ما زال يوصيني جبريل عليه السلام بالعفو، فلولا علمي بالله لَقُلْتُ إنه يُوصيني بترك الحدود[٧].

وقال علي كرّم الله وجهه: «أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة»[٨].

---

(١) لسان الميزان: ٤/ ٣٦١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم ٣٧٨٠.

(٣) صحيح ابن حبان: ١٤/ ١٠١ برقم: ٦٢١٨.

(٤) الحديث بلفظه في فيض القدير: ٤/ ٥٠١ وهو في شعب الإيمان بنحوه.

(٥) انظر شرح الزرقاني: ٤/ ٥٤٩.

(٦) مسند أحمد برقم ١٥٠٦٥ وفيه: «أفضل الفضائل أن تصل مَن قطعك».

(٧) الزهد لهناد الكوفي: ٢/ ٦٠٤ برقم: ١٢٨٧.

(٨) نهج البلاغة: ٤١٤.

وكان المأمون يحبُّ العفو ويُؤثره ويقول: «لقد حُبِّب إليَّ العفو حتى إني أخاف أنْ لا أُثاب عليه، لا سيما عن ذوي المروآت»[1].

ففي الحديث: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم»[2]، فما يعثر منهم عاثرٌ إلا ويده بيد الله يرفعه.

وأُحضِر إلى الهادي رجلٌ من أصحاب عبد الله بن مالك فوبَّخه على ذَنْب، فقال: يا أمير المؤمنين، إن إقراري يُلزمني ذنباً لم أفعله، ويُلحق بي جُرماً لم أقف عليه، وإنكاري ردٌّ عليك. فقال له الهادي: [٥٩/ ب] لله دَرُّك من معتذر بحقٍّ أو باطل، ما أمضى لسانك، وأثبت جنانك، وعفا عنه وخَلَّى سبيله[3].

وأمرَ زيادُ بضَرْب رقبة رجل فقال: أيها الأمير إنّ لي بك حُرمة، فقال: وما هي؟ قال: إن أبي جارك، قال: وما أبوك؟ قال: يا مولاي نسيت اسم نفسي فكيف اسم أبي!! فوضع زياد كُمّه على فيه، وضَحك، وعفا عنه[4].

وضرب الفضيل ابنَ الفتوة فقال: الصَّفحُ عن عثرات الإخوان[5].

وفي بعض الكتب: وإن كثرة العفو زيادة في العُمُر[6].

وأصله قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[7].

فتأمّل يا سيدي، وكما قال الشاعر[8]:

أنا المذنب الخَطَّاءُ والعفوُ واسعٌ ... ولو لم يكن ذَنْبٌ لما عُرِف العفوُ

---

(١) المستطرف: ١/ ١٩٥ وفيه: «أن لا أُؤجر».

(٢) القسم الأول أخرجه أبو داود في كتاب الحدود برقم: ٣٨٠٣ بلفظ: «إلا حدود»، وأمثال أبي عبيد: ٥٢، وفصل المقال: ٤٥.

(٣) المستطرف: ١/ ٤٠٧.

(٤) المستطرف: ١/ ١٩١.

(٥) المستطرف: ١/ ١٩١، وآداب العشرة: ١٦.

(٦) المستطرف: ١/ ١٩١.

(٧) سورة الرعد: ١٣/ ١٧.

(٨) العقد الفريد: ٢/ ١٩٩.

وقال الحسن: إن أفضل رداءٍ تَرَدى به الإنسانِ الحِلْمُ، وهو والله عليك أحسنُ من بُرد الحرير[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه [٦٠/ أ] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من كَظَم غيظاً وهو قادر على أن يُنفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيَّره في أيِّ الحور شاء»[2].

وروي: «ملأه الله أمناً وإيماناً»[3].

فتأمل ذلك يا سيدي، ولا تُضيع زُبدة حِلمك مع عدوِّك فضلاً عن صديقك.

وعن جعفر رضي الله عنه أنَّ غلاماً وقف يصُبُّ الماء على يديه، فوقع الإبريق من يد الغلام في الطّشت، فطار الرَّشاش في وجهه، فنظر إليه جعفر نَظَرَ مُغْضِبٍ فقال الغلام: يا مولاي ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[4]، فقال جعفر: قد كظمت غيظي وعفوت عنك، قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، قال: اذهب فأنت حُرٌّ لوجه الله[5].

وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[6].

وتغيَّظ [٦٠/ ب] عبد الملك على رجل فقال: والله لئن أمكنني الله منه لأفعلنّ به كذا وكذا، فلما صار بين يديه قال له: يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت، فاصنع ما أحب الله، فعفا عنه، وأمر له بِصِلة[7].

---

(١) المستطرف: ١/ ٤١٤ وفيه: «برد الحبر».

(٢) الترمذي في كتاب البر والصلة برقم ١٩٤٤.

(٣) سنن أبي داود في كتاب الأدب برقم ٤١٤٧.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ١٣٤.

(٥) المستطرف: ١/ ٤١٧.

(٦) سورة الحشر: ٥٩/ ١٠.

(٧) المستطرف: ١/ ١٩٢.

«وقد عفا صلى الله عليه وسلم عن اليهودية[1] التي سمّته بخيبر في كتف شاة، فأكل منه لقمة أو لقمتين، فنطق له الذِّراع بذلك، ومع ذلك لم يُؤاخذ من فعل معه، بل حَلُم عليه وأوسعه»[2]. اهـ.

وروي أن عمر رضي الله عنه رأى رجلاً سكراناً، فأراد أن يأخذه ليحدَّه، فشتمه السَّكرانُ، فرجع عنه، فقيل: يا أمير المؤمنين لِمَا شتمك تركْتَه؟ فقال: إنما تركته لأنه أغضبني، فلو حَدّيته لكنت قد انتصرت لنفسي، ولا أحبُّ أن أضرب مسلماً لِحَمِيَّة نفسي[3].

وقول بعضهم[4]:

فما النَّاسُ إلَّا واحدٌ من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثلي يُقاوم

[٦١/أ] فأمّا الذي فوقي فأعرف قدرَه ... وأتّبع فيه الحقَّ، والحقُّ لازمُ

وأمَّا الذي دوني فإنْ مالَ عن ... إجابته نفسي وإن لامَ لائمُ

وقيل: إنه ثار على عبد الرحمن الداخل[5] بالأندلس ثائر، فنهض عبد الرحمن إلى حربه، ثم ظفر به، فنهض إليه يوماً في بعض الطريق، وهو مكبَّلٌ بالحديد على بغل، فقنع رأس البغل بحضرته، وقال: يا بغل ماذا يحمل من النفاق والشِّقاق، فنظر الرجل إلى فرس عبد الرحمن وقال: يا فرس ماذا تحمل من العفو والرحمة؟ فقال له عبد الرحمن: لا جَرَم إنْ ذُقتَ الموت على يدي أبداً، ثم عفا عنه وترك سبيله[6].

---

(١) هي زينب بنت الحارث الإسرائيلية، أهدت النبيَّ شاةً مسمومة. واختُلف في نهايتها فقيل: تجاوز عنها النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: قتلها قصاصاً لبشر بن براء، توفي ٧هـ.

(٢) انظر الحديث سنن أبي داود في كتاب الديات برقم ٣٩١١، وسنن الدارمي في المقدمة: ١/ ٣٢. وفيه: «قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: إن كنت نبياً لم يضرَّك شيء..».

(٣) المستطرف: ١/ ١٩٤.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ١٩٤.

(٥) ابن معاوية بن هشام، لُقّب بصقر قريش، مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، كان حازماً لا يخلد إلى راحة ولا يكِلُ الأمور إلى غيره، توفي ١٧٢هـ.

(٦) لم أقف على هذا الخبر.

قال: إنه كان العباس بن المأمون لما أفضت الخلافة إلى المعتصم، دخلت للسَّلام مع الناس، فقال: هذا الذي أكره الناس لجلوسي فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين أنت تعفو عمّا تيقنته، فتعاقب على ما توّهمته، فقال: لو أردنا عقابك لتركنا عتابك[1].

وعن رجل [٦١/ ب] حكيم فأعرض عنه، فقال الرجل: إياك أعني، فقال: حكيم: وعنك أُعرض[2].

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يَعُسُّ في المدينة بالليل، فبينما هو يدور إذ سمع حِسَّاً في بيت، فارتاب في الحال، فتسوّر الحائط، فوجد رجلاً وامرأة وعندهما خمر، فقال له: يا عدو الله أكنت ترى أنّ الله يسترك وأنت على معصيته؟ فقال الرجل: لا تعجل عليّ يا أمير المؤمنين، إن كنت أنا عصيتُ الله واحدة، فقد عصيت أنت في ثلاث، فقال: ما الثلاث؟ قال: فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[3]، وقد تجسست، وقال: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[4]، وقد تسوّرت الحائط، وقال: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾[5]، ولم تُسَلِّم. فقال له عمر رضي الله: فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين إن عفوت عنِّي لا عُدتُ لمثلها [٦٢/ أ] أبداً، فعفا عنه وخَلَّى سبيله[6].

وتأمّل يا سيدي وفّقنا الله وإياك لصفاء الخواطر وهدانا للعفو عن كل ظالم ومقاطع ومُدابر، إنه مما ينبغي أن يجتنب الحقد، لأنه يُنافي صفة الإيمان، ولذا قال صلى الله عليه وسلّم: «المؤمن ليس بحقود»[7].

فإذا تأملت ذلك تعلم أن بين الإيمان الكامل والحقد غاية المُنافاة والبُعد، وإنهما لا

---

(١) جمهرة خُطب العرب: ٣/ ١٤٥.

(٢) المستطرف: ١/ ٤٠٦.

(٣) سورة الحجرات: ٤٩/ ١٢.

(٤) سورة البقرة: ٢/ ١٨٩.

(٥) سورة النور: ٢٤/ ٢٧.

(٦) محاضرات الأدباء: ١/ ٢٣٣.

(٧) كشف الخفا: ٢/ ٢٨٧ برقم: ٢٦٨٥.

يجتمعان، فامنع مزايلة الحقد من أصله، وإياك يا سيدي والشحناء فإنها محرَّمة.

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكلِّ عبد لا يُشرك بالله شيئاً إلَّا رجلٌ كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: انتظروا هذين حتى يصطلحا»[1].

وقال الخطيب وابن عساكر: «إن أعمال العباد تعرض على الله في كلِّ اثنين وخميس، فيُغفر لكلِّ عبد [٦٢/ ب] لا يُشرك بالله شيئاً إلَّا عبدٌ بينه وبين أخيه شحناء»[2].

فتأمل يا سيدي ما تقدّم مما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم من كَسْر رَباعيته وشَجِّ رأسه وسَمِّ الذِّراع له، ومع ذلك عفا وصفح عن فاعل ذلك، وكذا الصِّديق رضي الله عنه مع مسطح لمّا خاض في قضية الإفك أعاد له الصِّديق النفقة، والحسن البصري وغيرهم ممن تقدّم.

وتأمل يا سيدي الغضب، ما هي نتيجته، بل أقبح نتائجه، وأول ذنب عُصي الله به، الحِقد والحسد، كفانا الله وإياكم داءهما القاتل، وأمدّنا الله بمدده وبعفوه الكامل الشامل.

اللهم إنا نسألُك يا علي يا عظيم يا قادر يا حكيم أن تغفر ذنوبنا وتستر عيوبنا وتُذهب غيظ قلوبنا.

اللهم يا غياث المستغيثين، ويا راحم المساكين إنَّا نسألك بجميع أنبيائك والمرسلين، [٦٣/ أ] وملائكتك والمقرّبين، وأهل طاعتك أجمعين من أهل السماوت وأهل الأرضين أنْ تفرِّج كربنا وترحم ضعفنا وتجمع شملنا بفيضك العميم، ولا تجعل في قلوبنا غِلَّاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

اللهم يا منتهى طالب الحاجات، ويا مَن عنده نَيْلُ الطلبات، ويا من لا يبيع نعمه بالآثام، ويا مَنْ لا تُفني خزائنَه المسائلُ، ولا يُبدل حُكم الوسائل، ويا مَن لا يرب عنه،

---

(١) مسلم في كتاب البر والصلة برقم: ٤٦٥٢ و٤٦٥٣.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

ولا يُطلب إلا منه، إنّا نرغب إليك ونجعلُ المعوَّل في الأمور كلها عليك أنْ تَمُنّ علينا بتوبة جامعة، وتقطع عنّا كلَّ حَوبة للخير مانعة وأن تعصمنا من كلِّ محنةٍ وتُنزِّه قلوبنا عن كل شُحنة، وأنْ تردَّ الحسود خائباً مدحوراً بهمته مختوماً مقهوراً، وبغمِّه باكياً مغموراً، ولا يسأل فينا مطلباً ولا يبلغ منا مأرباً بقوتك، يا قوي يا متين ومَنْ على دعائنا [٦٣/ ب] قال: آمين.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله القوي المبين، ثم الصلاة والسلام على أفضل عبادك وزين عبادك، قُطب دائرة الوجود، ورسول الملك المعبود، مولانا ومولى الثقلين عبْدك ونبيِّك محمد صلى الله عليه وسلم، والله تعالى أعلم.

وهذا آخر ما يسَّر الله تعالى من حمله وكرمه علينا جمعه وسهّل ترتيبه ووضعه على يد كاتبه جامعه أفقرِ العباد وأحوجهم إلى عفو ربه الغني الجواد أحمد بن أحمد بن شهاب الدين الفيومي الشهير بالغرقاوي المالكي، غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه ولمشايخه وأصحابه وذريته وأحبابه ولمن دعا لهم بالمغفرة ولجميع المسلمين [٦٤/ أ] والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياءِ منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات، يا رَبّ العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين، والحمد لله وَحْدَه.

تَمّ.

# فهرس المحتويات


| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| منهج التحقيق..... | ٥ |
| مؤلِّف المخطوط ..... | ٦ |
| وصف المخطوط ..... | ٧ |
| مقدمة المصنِّف ..... | ١١ |
| المقدمة الأولى (فيما يتعلق بالمتبلِّغ عن أخيه كلاماً في حقِّه أن يلتمسه من الكلام)..... | ٢٣ |
| الفصل الأول (في النهي عن سوء الظنّ)..... | ٢٩ |
| تنبيه ..... | ٣٣ |
| الفصل الثاني (في تحمُّل الإخوان وإقالة عثراتهم والنهي عن الغضب) ..... | ٣٥ |
| الفصل الثالث (في الألفة والصحبة والصاحب وما لهم من الحقوق) ..... | ٥٣ |
| تتمَّة ..... | ٧٩ |
| الخاتمة ..... | ٨١ |

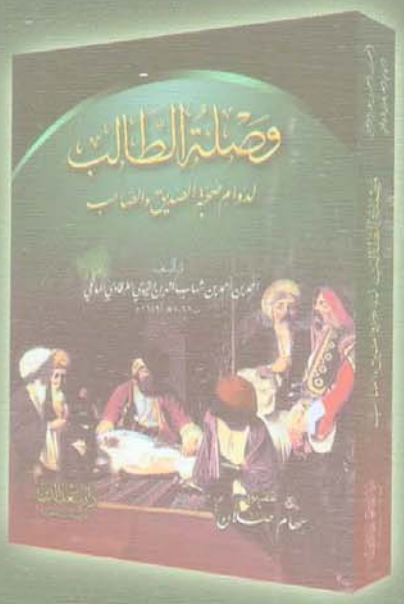


## هذا الكتاب

رسالةٌ صغيرٌ حجمُها، عجيبٌ نظمُها، رتّبتُها على مقدمة وثلاثة من الفصول وخاتمة خير يتمُّ بها المأمول.

فالمقدّمة حوتْ من المسائل من الفصول ما هو الأولى أنْ يقال في جواب الناقل.

والأوّلُ من الفصول: في النهي عن سوء الظنّ بكلام الله عز وجل وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم لا سيّما بالأحباب والأصدقاء والأصحاب.

والثاني: في تحمُّل أذى الإخوان اقتداءً بالنبي وأصحابه فيما وقع لهم في ماضي الأزمان وعملاً بالأحاديث الواردة فيه، ونصّ القرآن، ونبذة في النهي عن الغضب لكونه صفة الشيطان.

والثالث: في شيء من آداب الإلفة والصُحبة والصاحب وما لها من الحقوق والمطالب.

والخاتمة: في استعطافات سجعيّة وشعرية ونبذة في العفو عن كُلّ جنيّة، والنهي عن الحقد، عصمنا الله منه بجاه خير البريّة، وسمّيتها:
(وصْلَة الطّالب لدوام صُحْبَةِ الصّديقِ والصّاحِب)

من مقدمة النّصّ المحقق

دار سعد الدين
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - شارع 29 أيار - عين الكرش
جادة كرجية حداد - ص.ب 3143
هاتف 2319694 - فاكس 2326380
جوال 00963 944 484915
darsaadaldeen@hotmail.com
www.facebook.com/dar.saadaldeen

ISBN 978-9933-473-07-5
9789933473075